جناحا النحلة

دراسة نقدية

عبد الله الجعفري

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الجزء الأول
قراءة في كتاب مقالات في علم التوحيد

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الجزء الثاني

ملاحظات على الرستباشية

الموضوع	الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله الأطهار مصابيح الدجى وسفن نجاة الأمة، وعلى أصحابه الذين قاموا على إحياء سنته ونهجوا منهجه وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

على الرغم من أن الله سبحانه وتعالى جعل من الماء كل شيء حي كما يقول: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[1] وجعله طاهراً مُطهراً لكل شيء ولكن حين يبقى حبيساً رهين حفرته لا يتحرك منها فلا يدخل إليها ولا يخرج منها شيء يصبح ذلك الماء آسناً ذا رائحة كريهة يفقد خاصيته في استعمالات الحياة المتنوعة.

وهكذا الفكر الإنساني والديانات السماوية التي حملتها الأنبياء، المائة وعشرون ألف نبي منذ آدم إلى خاتمهم محمد بن عبد الله ﷺ الذين كانوا السبب في بناء الحضارة الإنسانية كما يقول نبينا محمد ﷺ: «وإنما مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل بناء كلما جاء نبي وضع فيه لَبِنة فبقيت اللّبِنَةُ الأخيرة فجئت لأضعها في مكانها من هذا البناء».

وكانت الحاجة لوضع كل نبي لَبِنَتَهُ التي بُعث لأجلها تبدو واضحة مع تراكم غبار الزمن كما يتراكم غبار الخماسين والرياح الرملية على النباتات والينابيع والغدران التي يعيش منها الإنسان فيأتي دور الإنسان لينظف هذه المرافق الحيوية وينميها ليستطيع متابعة الحياة فيها، وكذلك عندما تتراكم العادات والتقاليد وتتداخل الآراء والثقافات يصل الإنسان إلى مرحلة لا يفرق فيها بين الديانات السماوية التي تحمل الفكر البنّاء الذي جاء لتحرير

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٣٠.

الإنسان من رقّ المادة وعبودية الإنسان لأخيه الإنسان وبين العادات والتقاليد التي تراكمت على تلك المبادئ الربانية مثل الغبار الذي تراكم على نباتات الحدائق والينابيع والأبنية فجاء الإنسان ونظفها ليستفيد منها.

ولذلك نرى أن الأنبياء والمرسلين هم الذين جاؤوا لتنظيف الحضارة البشرية من غبار الزمن ونسف العادات والتقاليد البالية لإعادة بنائها أو ترميمها حسب الضرر الذي لحق بها وتطويرها، ولذلك يقول الإمام علي عليه السلام في سبب بعثة الأنبياء والمرسلين في أول خطبة في نهج البلاغة: «بعث الأنبياء والمرسلين ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا دفائن العقول».

وخلال إثارة دفائن العقول لابد من دراسة تجارب الماضين كما يقول الإمام علي عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه السلام: «أحي قلبك بالموعظة...» إلى أن يقول:

«واعرض عليه أخبار الماضين، وذكّره بما أصاب من كان قبله وسر في بلادهم وآثارهم وانظر ما فعلوا وأين حلّوا وعمّن انتقلوا».

ثم يتكلم عن سبب وصيته بذلك فيقول:

«لتستقبل بجدّ رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته».

ثم يصف كيف استفاد الإمام من تجارب الماضين فقال: «وإن لم أكن عمرت عُمُر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم، بل كأني بما انتهى إلي من أمورهم قد عُمرت مع أولهم إلى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضُرّه»[1].

وحتى يستطيع المؤمن الذي يقتدي بالإمام عليه السلام وهو معنيٌّ بهذه الوصية - حتى يستطيع تطبيقها لا بد أن يستخلص من كل أمر نخيله ويتوخى جميله ويصرف مجهوله كما يقول الإمام عليه السلام، ومفتاح عملنا هذا هو إحضار

(١) تحف العقول ص ٨٨ - نهج البلاغة ٢٩٣/٣١.

نصوص التراث التي تراكم عليها غبار الزمن من عادات وتقاليد مختلفة لا نعرف عمرها ولكن نعرف أنها موجودة عندنا فنبدأ بدراستها ونقدها من خلال قول الإمام علي عليه السلام: «اضربوا بعض الرأي ببعض يتولد منه الرأي الصواب»، ويكون الميزان والفيصل في دراستنا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي الثقلين أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي»[1].

وبعد الدراسة والنقد وفق الضوابط الشرعية والموازين العقلية لا بد من إخراج العيوب العالقة لإعادة الترميم والبناء ولذلك يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «أحب إخواني إليّ من أهداني عيوبي».

ولا تذهب بنا المذاهب فينزعج بعضنا من النقد وإظهار الخلل لأنه لم يتطور علم عبر الزمن إلا من خلال نقده وإظهار مواطن الخلل فيه وما هي الشيء الأفضل لاستبداله والعمل به وهذا ما جاء به الحديث القدسي عن الله عز وجل:

«لو لم تكونوا تخطئون لخلقت قوماً غيركم يخطئون ويصيبون».

فالوقوع في الخطأ تجربة إذا استطعنا أن نتعلم منها يجب أن نصيب بعدها لأن الله عز وجل خلقنا لذلك: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ﴾[2].

وقانون الابتلاء له دور في مراجعة حساباتنا اليومية وتطوير حياتنا ونصيحة إخواننا لذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام: «ليس منا من لم يحاسب نفسه صبيحة كل يوم فإن فعل بالأمس خيراً ازداد منه وإن فعل شراً تجاوز عنه».

إذاً حتى نصل إلى محطة الكلام وزبدته نقول بأن كل دراسة يرجى لها النجاح والفائدة لا بد أن تبنى على وجود نص يقدم للدراسة على أساس ضوابط شرعية وعقلية ويقوم الأخصائيون المهتمون بهذه الدراسة بنقدها وتحليلها

---

(١) مستدرك الصحيحين ج٣ ح ٧١١-٤٥٧٦.

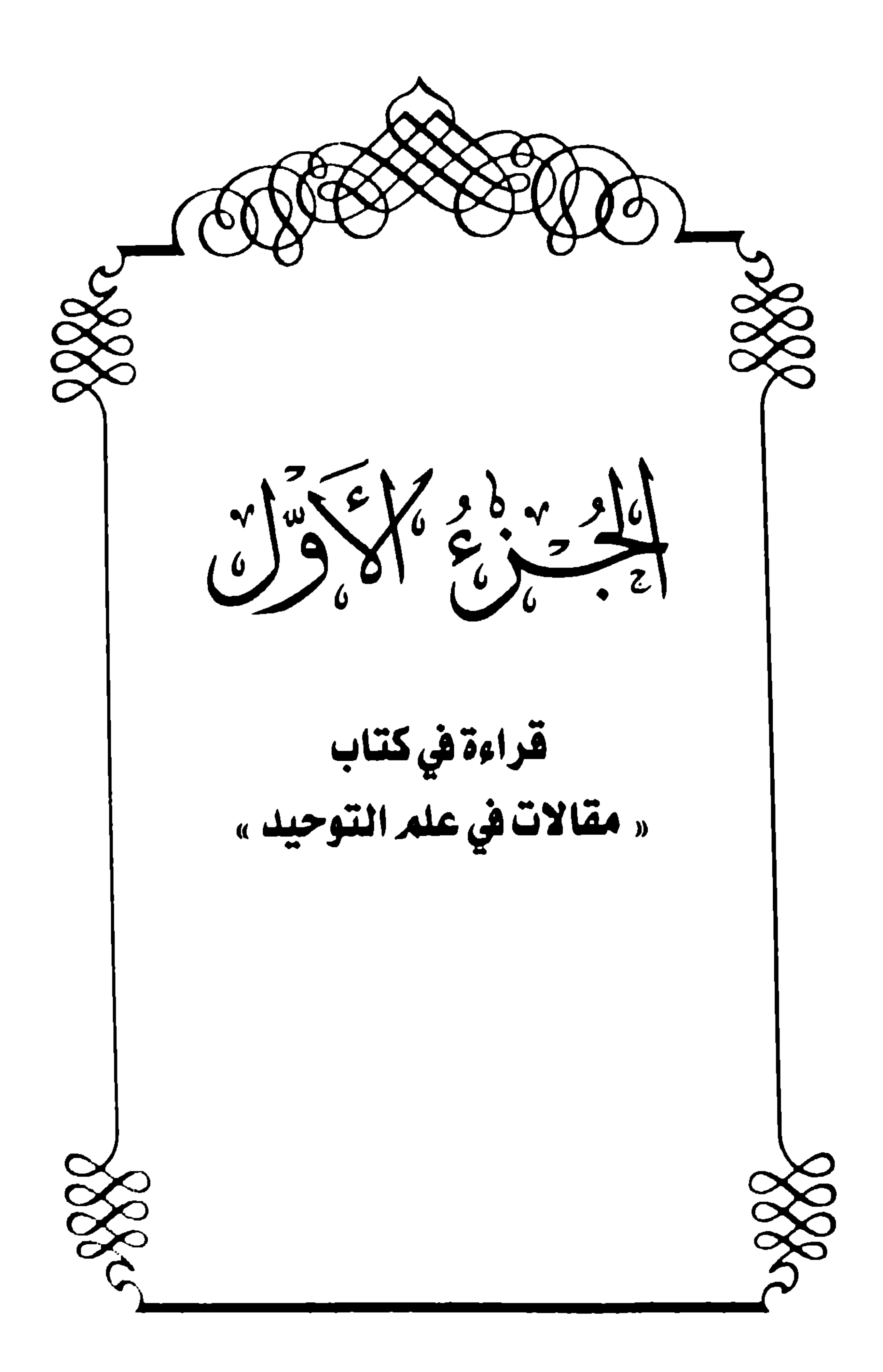
(٢) سورة المائدة الآية ٤٩.

وتسليط الأضواء عليها من جميع الاتجاهات لنصل إلى تجديد الفكر الإنساني وتطويره مع الاستفادة من التجارب السابقة للأمم الماضية وخاصة تجارب الأنبياء والمرسلين والأئمة المعصومين عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

وهذا الكتاب الذي بين يدي القارئ هو عبارة عن قراءة ونقد لكتابين وقعت عليهما فرأيت من المتناقضات العقلية والمعارضة للنصوص الشرعية الكثير والكثير فعزوت ذلك إلى بُعد الكاتب الأول عن الاختصاص وتدخله فيما لا يعنيه، وعزوت الكتاب الثاني لِبُعد الزمن بيننا وبين صاحب النص، بحيث لم يكن هناك أي فرصة لتحقيق الكتاب وإيجاد النسخ الخطية القديمة للكتاب وهذا كثير في المخطوطات القديمة الموجودة بأيدي الناس فلا يوجد من المختصين من ينقلها بخط جيد مع مراعاة شروط النقل ولربما نسي الناسخ كلمة أو جملة ومع فقد النسخ الخطية القديمة بسبب سرقة تراث الأمة ومخطوطاتها من قبل المستعمرين وبيعها من قبل المرتزقة أو إتلافها من قبل الجهلة والتكفيريين نرى أن الكثير من أمثال هذه المخطوطات قد فُقد أو حُرِّف..

ولذلك لا بد لنا أن نهيب بالغيارى من أبناء هذا الشعب أن يهبّوا لإنقاذ تراثهم وإظهار هويتهم بعد إخراج كل الشوائب والدسائس التي حاول من خلالها أعداء الوطن حذف هذه الجماعة وإخراجها من النسيج الإسلامي الجعفري الذي تنتمي إليه ولكن بقوة الله وإيمان المجتمع وصموده في وجه أعدائه ونقده البناء لأفكاره ولغيره، ووعيه لما يراد به، وللهدف الذي خلقه الله عز وجل له وبشارة النبي الأعظم ﷺ بأن الأبدال الذين يظهرون في آخر الزمان بين يدي الإمام الحجة المنتظر عليه السلام سيقومون بأمرهم ممهدين في هذه الجبال متصلين بإخوانهم في جبل عامل خط المقاومة والممانعة إلى القدس ليطهرها من قتلة الأنبياء ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

والسلام



الجُزْءُ الأَوَّلُ

قراءة في كتاب
« مقالات في علم التوحيد »

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة على رسوله وأهل بيته ومن والاه، وبعد:

قرأت كتاب: (مقالات في علم التوحيد)، وهو أسئلة وجهها الأستاذ «زهير مرهج بلال» إلى بعض المشايخ ورجال الدين، وآخر ما وقع اختياره عليه الشيخ مظهر سعود..

ورأيت أن ما يصدق على هذا الكتاب هو الحكاية التالية:

(وقعت بين الأعمش وبين امرأته وحشة فسأل بعض أصحابه أن يرضيها ويصلح بينهما فدخل عليها وقال: إن أبا محمد شيخنا وفقيهنا فلا يزهدنّك فيه عمش عينيه، وحموشة ساقيه، وضعف ركبتيه، وقزل رجليه، ونتن إبطيه، وبخر شدقيه. فقال الأعمش: قم عنا، فقد أريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه وتبصره...)[1].

لقد ندب السائل نفسه ليدافع عن العادات والتقاليد التي سماها ديناً، واختار من أجابه عليها لتطمئن قلوب أتباعها إلى صواب ما يعتقدون، وكان أحسن جهدهم أنهم زادوا حفرة الشك طولاً وعرضاً وعمقاً!

يقول الأستاذ «زهير مرهج بلال» صاحب الأسئلة في مقدمة الكتاب أن من وصفهم (بشدة الجحود والأبلسة ونكران النعم يحاولون هدم بنيان العقيدة، وهدم أساس الدين بالآراء الفاسدة). ويضيف: (ما أكثرهم في أيامنا هذه، وقد التقيت ببعضهم وحاورتهم، وقرأت للبعض الآخر، فرأيت جل أقوالهم تبحث في النقد الهدام الذي لا يغني ولا يثمر عند ثابتي الدين، ولا يروي عطش واردي عين اليقين).

---

(١) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ٢/٣٠٧.

ثم يقتحم بنا نظرية المؤامرة، ويؤكد أن: (وراء هؤلاء مؤسسات فكرية ضخمة تموِّلهم). ويعترف أن (عملهم ينتقل من نصر إلى نصر).

ويهيب بوارثي علم الطريقة أن: (يقفوا وقفة الرجل الواحد، ويحاربوا هؤلاء بنفس أسلحتهم؛ أي بالمادة التاريخية، وليبتعدوا عن علم التأويل الذي يصعب تقبله عند الطالب السالك).

وإذا كان الاتهام بالمؤامرة سهلاً مريئاً هكذا، فلماذا لا نقول إن صاحب الأسئلة هو من جملة المتآمرين، ولكن بلباس ذكي وخفي، حيث إنه يعترف أن منهجه في طرح الأسئلة هو (على طريقة أولئك المشككين)!!

ويبدو أن هذا ما رآه فعلاً الشيخ محمود كامل صاحب كتاب المقالات في نهاية كتابه حيث قال: (لقد كان دأب هذه الأسئلة بعموميتها زرع الشك والتشكيك في الطريقة خصوصاً والدين عموماً..).

ولن تعرف لماذا مضوا في الكتاب مع أنهم أعلنوا من الصفحة الأولى على لسان الشيخ «مظهر مسعود» أنه: (لا يمكن الإجابة على الأسئلة ولو اجتمع على ذلك كل مشايخ الطائفة، واستعانوا بالجن، وأفاقوا «أبا سعيد» من قبره)!

أما الذي تولى الإجابة المكتوبة على الأسئلة فهو الشيخ «محمود كامل خليل». ويبدو أنه كان يفضل أن يكون الحوار شفوياً، ولكنه وجد نفسه (مرغماً) على الإجابة الكتابية عن أسئلة الأستاذ «زهير مرهج»، لعله يدفع ما يمكن دفعه من الشبهات المنبثقة عن مسائله.

هو يقول إذاً أنه أراد دفع الشبهات، ولكن مجمل إجاباته – كما هو مجمل أسئلة السائل – كان حطباً يلقى في نار الشكوك حول الطريقة التي أصبحت بين الناس مجرد عادات وتقاليد يتوارثونها ليزداد ضرامها.

وإليك أخي القارئ جملاً من كلامه في الكتاب ليتبين لك كم أعان هؤلاء على أنفسهم وطريقتهم:

- ليس لدى الطائفة كتب تاريخ ومؤرخين.ص٩
- معظم النصيريين كانوا يخالفون الخصيبي، فهو لم يكن مرجعاً لغير تلاميذه./ ص٩
- دس واسع في مؤلفات الجلي./ ص٢٦
- لم تسلم رسائل أبي سعيد من الدس، وكذلك رسالة الشيخ./ ص٢٦
- لا يمكننا أن نثق بأي لفتة تاريخية عن مجريات الأمور في داخل البيت الشعيبي./ ص٢٧
- لم ينشأ في طائفتنا كُتّاب مثاليون، ولا نُقّاد ولا مراقبة./ ص٢٨
- كان المتنفذ في أعماق الطائفة يتصرف بدون خوف من أحد، لأنه يجد الذين حوله رعاعاً يصفقون له في كل ما يقول دون أدنى تأمل./ ص٢٨
- النصيريون الموجودون الآن هم الذين خالفوا الخصيبي عندما جاء بدعوته.
- تأكد لدينا أن «فقه الرسالة» ليست قطعاً لسيدنا الخصيبي./ ص٣٣
- الرسالة لم تكتب في عهد الخصيبي..بل في عهد أبي سعيد. / ص٣٣
- ظهر من الخصيبي بعض الأخطاء في الرستباشية أو غيرها.ص٣٦

فإذا كان الحال كذلك في عقيدة الطائفة وكتبها وعلمائها، وإذا كان هناك دس واسع في الكتب الأساسية الأولى للطائفة يصل إلى نسبة كتب بأكملها للخصيبي وهو منها براء.

وفي ظل هذا الدس الواسع الذي طال كتب المراجع الأولى، وفي ظل الجهل الكبير الذي ران على أبناء الطائفة وقتها، وافتقاد كُتّاب مثاليين وغياب النقد والمراجعة، حتى يمكن لزعيم عشيرة أو شيخ منطقة أن يقول ما شاء ليصفق له الرعاع..

في ظل كل ذلك، كيف يمكن الركون إلى عقيدة تؤخذ من رجال شبه مجهولين؟

وكيف يُوَرِّطون أبناء الطائفة بتعليم باطن وتأويل لم تثبت له مرجعية متواترة؟!

وإذا كانت مراجعهم يشوبها كل ذلك الغموض والالتباس، ويحف بها النحل والدس والتحريف، فمن أين سيأخذون دينهم؟ ولمن سيعطونه؟

وما ذنب تلك الأجيال المتلاحقة التي ربيت على الاستخفاف بنص القرآن المعصوم الذي وصل كما نزل؟

إذاً ماذا بقي من الطريقة؟

وكيف يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الحق للباحث عنه، فضلاً عن أن يتبين (للرعاع) الذين ذكرتموهم، وهم على قولكم يشكلون أكثر من تسعين بالمئة من الطائفة؟!

نعم، إننا عندما نتحدث عن الإسلام فهناك مرجع نصي ثابت قطعي متواتر، وهو حجة على جميع أبنائه المنتسبين إليه، ألا وهو القرآن الكريم. هذا النص هو معيار الإيمان والكفر، والهدى والضلال، والطاعة والمعصية.

والمتفق عليه بين أبناء الإسلام – بما في ذلك الجماعة الخصيبية – أنه يجب عرض الأحاديث على القرآن الكريم، وفي حال المخالفة يُرَدُّ الحديث، ويضرب به عرض الحائط، كائناً من كان قائله أو المنسوب إليه.

وفي الرسالة المصرية وغيرها أكثر من حديث بهذا الشأن.

نعلم أن هؤلاء المشتغلين ببواطنهم وتأويلاتهم لن يعرضوا شيئاً منها على القرآن، فهم على خلاف وتناقض معه منذ البداية. وسترى أن المجيب يُسَفِّه رأي السائل حين يطلب منه أدلة على الظهورات السبعة من القرآن،

ويقول إن هذا غير ممكن، ولكنه يدعي وجود (تلميحات) في القرآن على ربوبية فلان وفلان..ثم يسوقها بحجج واهية العرى ظاهرة العوار.

فهل نُصدّق أن دين الله – ظاهراً أو باطناً- يصاب بالتلميحات؟!

إلى أين سيلجأ هؤلاء لتمييز الدس والتحريف في رسائلهم؟

أين كتابهم المرجع؟ لا يوجد.

لا سبيل أمامهم إلا أن يتداووا من الداء بالداء، وأن يكون الخصم هو الحكم، وموضع الضلال هو مرجع الهدى!

وإذا كانوا جادين حقاً في الذود عن طريقتهم التي يَدَّعون أنها (المثلى)، فلماذا لا ينتدبون منهم من يقوم على تحقيق تلك الرسائل التي يعتقدون أنها مرجع لعلم التوحيد الباطن، وفي مقدمتها رسالة شيخ الطريقة، تحقيقاً علمياً ينسجم مع مبادئهم، فيكون لأبناء الطائفة مرجع واحد (ثبت) على الأقل؟

في الصفحات التالية سجلت ردوداً وملاحظات ليست استقصائية، ولكنها كافية لإيضاح وجهة النظر الأخرى، فأنا على سُنّةٍ من كتب فَأُخطئ وأنتظر التصحيح. والحمد لله أولاً وآخراً.

أبو صادق الجعفري

السؤال الأول:

عن المرجعية بعد الخصيبي:

قال الشيخ محمود في الجواب: (كان السجال في علم التوحيد مُحرَّماً في عهد الجلي؛ لأنه على أَوْجُهٍ، وكل مؤمن يخلد إلى الوجه الذي يلائم عقله ومستواه من اليقين والإيمان..)

أقول:

هل يجوز التعامل مع علم التوحيد بهذه الخفة: توحيد الله على أَوْجُهٍ، وكل مؤمن يستطيع أن يختار الوجه الذي يلائم عقله؟!

أيُّ توحيد هذا؟! وأصل التوحيد من الواحد. لا يحتمل الأمر أَوْجُهاً واختيارات ومزاجيات، وليس هو تبعاً لنقول الناس، ولم يترك لهم الخيرة من أمرهم حتى يختار كل امرئ ما يمليه عليه جهله وهواه.

وهكذا، فبدل أن يرتفع العقل بالتوحيد وينمو ويتكامل، يصغر التوحيد لينزل إلى ما يناسب عقول السفهاء والجهلة، والجاهل دائماً راضٍ بعَقله لا يستزيد منه، ولا يراجع ما ورد إليه ليميز الحق من الباطل.

هذا المبدأ المعكوس يُذَكِّرني بأسلوب بعض المدرسين في الخليج، الذين كان همهم إرضاء رؤسائهم هناك، حيث كانوا يضعون أسئلة الامتحانات والاختبارات بما يناسب مستوى تلاميذهم، فتكون النتيجة أن ينجح أكثر الطلاب، ويحققوا نتائج ممتازة. والحق أن يكون العكس هو الصحيح؛ أي أن يعرض التلميذ على مستوى علمي محدد، فيقاس مستواه وفق ذلك المرجع.

ثم تابع الشيخ في إجابته، فقال: (ولم يكن أحد يساجل أحداً إلا إذا حصل بين الموحدين والمارقين مثل إسحق الأحمر).

إذاً هذه هي النتيجة الطبيعية لتحريم السجال كما قال، فالذي يخالف يصبح مارقاً.

النتيجة أن يصنفد العقل في أغلاله عند أبناء الطائفة آلاف السنوات كيلا يوصم صاحبه بالمروق والردة، وقد قتل بالفعل بعضهم بهذه التهمة.

وإذا كان مباحاً لكل مؤمن في الطائفة أن يختار الوجه الذي يلائم عقله من التوحيد، فلماذا الإنكار على إسحق الأحمر عندما اختار ما رآه مناسباً مما اعتقد أنه توحيد، مثلما اخترتم أنتم؟

السؤال الثاني:

حول مصداقية كتاب (الطاعة):

قال الشيخ في الجواب: (إن هناك كثيراً من التساؤلات عن أخبار غريبة في المنقول، ولكنها لم تؤثر على العقيدة).

ومن الأمثلة التي ضربها على ذلك: (إن المئة وأربعة وعشرين ألف نبي هم عوالم النور يظهرون لظهور المعنى، ويغيبون لغيبته). ويعترف الشيخ أن هذا العدد غير واقعي في الظهور؛ ففي القبة الهابيلية لم يكن هناك أكثر من أربعة: (آدم وحواء وقابيل وهابيل) فأين هؤلاء الآلاف المؤلفة؟

ومع مجافاة هذا الخبر للواقع يصل إلى نتيجة ليجعله مقبولاً، وهي: إن هذه الآلاف موزعة على جملة الظهورات السبعة؛ أي كان غيابهم مع غيبة الإمام علي عليه السلام، أو لدى آخر الأئمة المعصومين عليهم السلام.

أقول:

هذا التخريج المتكلف يخالف منطق الحديث ومعناه، فإنه يقول:

(يظهرون لظهوره..) ولم يقل: يظهر بعضهم.

السؤال الثالث:

حول تاريخ «إسحق الأحمر» وشخصيته:

قال الشيخ في الجواب إنه لا يجد أهمية للحديث عن تاريخ ولادة ووفاة شخص حاول سحق الطريقة. وقال إنه لا يشك بمعاصرته للإمام الحسن العسكري عليه السلام، وسوى ذلك لا يريد شيئاً من تاريخه الأسود. ويستنكر على السائل أن يستعلم عن مؤلفات إسحق.

أقول:

هذه الطريقة في التعاطي مع التاريخ والتراجم والأفكار والعقائد ليست من سمات البحث العلمي الموضوعي. فإذا كنا نكره فلاناً من الناس علينا أن نطمس تاريخه وفكره ما أمكن، وننفر أتباعنا من طرح الأسئلة عنه، ثم نقول لهم في الوقت ذاته إنه ضلال ووبال.

ألا يدل هذا على عدم الثقة بالمنهج الذي يحمله هؤلاء؟

أو ربما يدل على الخوف من كتب إسحق الأحمر على أبناء الطائفة، وذلك للتقارب الكبير بينهما، فلا يمكن لهم أن يميزوا الغث من السمين فيما بين هذا وذاك إلا بإشارة من مراجعهم وشيوخهم. ولما كان هذا غير مضمون النتائج فالأولى أن تطمس كتبه، ولا يعرض من فكره إلا ما يريد مخالفوه من خلال مصنفاتهم هم.

ليس ذلك بغريب على كل حال، فإن مشايخ الوراثة والعادات والتقاليد إلى الآن يحاربون كتب التشيع عامة، ولا يأخذون منها إلا ما يؤكد شرعية الغلو والانحراف الذي يسبحون به، بل يغرقون فيه. حتى إن بعضهم يُؤَوِّل قوله تعالى في المحرمات: ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ تعني: أنه مَنْ أَكْثَرَ مِنْ عِلم الظاهر اختنق به.

لقد سجل القرآن كلمات أعداء الله بكل دقة وأمانة، بدءاً من إبليس، مروراً بأقوام الأنبياء الذين جحدوا نعمه وكذبوا رسله، إلى الفراعنة والطواغيت.

وقد مكنهم تعالى من أن يرتقوا المنابر، ويعلنوا بدعواتهم الإلحادية التي يحاربون بها منهجه من بدء الخليقة. فهل نتعلم درساً في (المعارضة والموالاة) من كلام الله تعالى مع ابليس؟

(سئل أبو حنيفة: مَنْ أفْقَهُ مَنْ رَأيْتَ؟

قَالَ: مَا رَأيْتُ أحداً أفْقهَ مِنْ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ (الصادق).. هيَّأْتُ لَهُ أرْبَعِيْنَ مَسْألَةً، وابتَدَأْتُ أسْألُه، فَكَانَ يَقُوْلُ فِي المَسْألَةِ: أنْتُم تَقُوْلُوْنَ فِيْهَا كَذا وَكَذَا، وَأهْلُ المَدِيْنَةِ يَقُوْلُوْنَ كَذَا وَكَذَا، وَنَحْنُ نَقُوْلُ كَذَا وَكَذا، فَرُبَّمَا تَابَعَنا، وَرُبَّمَا تَابَعَ أهْلَ المَدِيْنَةِ، وَرُبَّمَا خَالَفَنَا جَمِيْعاً، حَتَّى أتَيْتُ عَلَى أرْبَعِيْنَ مَسْألَةً، مَا أخْرِمُ مِنْهَا مَسْألَةً.

ثُمَّ قَالَ أَبُو حَنِيْفَةَ: أَلَيْسَ قَدْ رَوَيْنَا أنَّ أعْلَمَ النَّاسِ أعْلَمُهم باخْتِلاَفِ النَّاسِ؟)[1].

وهذا درس لكل طالب علم، لكن هذا الدافع ما زال يُقْمع عند أبنائنا وإخواننا للأسف منذ نعومة أظفارهم حتى ينقضي الأجل.

إنك ربما تسمع فلاناً منهم يسب الآخر ويقول له: لعنك الله يا أبا ذهيبة. ولكنك إذا سألته عن مقالة أبو ذهيبة التي استحق بها اللعن لم يُحِر جواباً.

أما الشيخ الذي يتحدث عن ضلال إسحق في الإجابة هنا، فيقول إن رأس ضلالات الفرقة الإسحاقية هو (الغلو في الوجودين)، ثم يضيف بنوع من تبرئة الذمة وتبيان الفرق: (صحيح ما نقوله في الصورتين، لكننا لا نحصر الباري في أية صورة، وكل حصر هو غلو).

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٦/ ٢٥٧ الإمام الصادق لمحمد أبو زهرة ص٢٨

ثم ينقل عن الخصيبي ما يفيد بأن هناك غلواً محموداً، وغلواً مذموماً:

(الغلو في الموجودين رأس الضلالات).

الغلو المذموم عبادة علي الظاهر.

والغلو المحمود عبادة علي الباطن..الباري عز وجل.

وبتعبيرهم الآخر: (إثبات المعاجز والقدرة، ونفي التخاطيط والصور).

وبهذا التفريق استحقت الإسحاقية برأيه ما وصمت به من الضلال، أي: حصر الباري في صورة.

وبهذا المعنى يُفهم القول المنسوب للخصيبي: (من قال إن علياً الظاهر هو الله فقد كفر). ويشرح الشيخ محمود ذلك فيقول: (أي من ألّه هذه الأعراض الجسمية من طول وعرض و«خمسات»..).

هذه الوصفة السحرية تخرجك من الغلو يا ابن الطائفة؛ أن تقول: هناك علي ظاهر هو علي بن أبي طالب بصفاته الجسمية المعروفة، وهناك علي باطن هو الله تعالى!

بهذا تنجو من الغلو، وتأمن الهلاك، وتزحزح عن النار!

ولكن ابن الطائفة سيسأل: ما هي العلاقة بين علي الظاهر وعلي الباطن؟ هل هما واحد أم اثنان؟

هل هو مجرد (اتفاق لفظي) بين علي والعلي؟ يعني كما لو قلنا أن هناك رجلاً اسمه (كريم)، وهناك (الكريم) هو الله تعالى. وهناك رجل (حليم)، وهناك الله (الحليم)، فالأول ظاهر، والثاني باطن.

لكن القضية ليست هكذا طبعاً.

ولكي لا يجعلك الكاتب تقترب من هذا التخيل (السطحي)، أردف فقال: (هذا لا يعني أي نكران لمعنوية أمير المؤمنين وربوبيته؛ لأن الغلو المرفوض هو عبادة الظاهر.. والغلو هو حصر الباري في صورة).

إن هؤلاء لا عمل لهم حقيقة سوى التعمية على الأتباع، ووضعهم في تيهاء مظلمة، وهم أشبه بمن يجهد نفسه في بناء، ثم يهدمه، ثم يعاود بناءه.. كالتي نقضت غزلها: علي الظاهر هو مجرد إمام، والله هو علي الباطن، ومن قال إن هذا الظاهر هو الله فقد كفر! ولكنهم في الكتاب نفسه / ص ٤٧ يؤكدون أن علياً الظاهر هو الله، كما سيمر في مناقشة حديثهم هناك.

فلماذا لا تقفون ابن الطائفة على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها؟

هل قال علي عليه السلام شيئاً مما تقولونه عندما تبرأ من الغلاة، وصرح بهلاكهم فيه؟ وأين قرأتم أنه قال: أنا علي الظاهر، والله علي الباطن؟!

هل هناك غلو محمود وغلو مذموم؟

يحاول الكاتب إثبات وجود الغلو المحمود، تماماً كما جاء في بعض الرسائل: (لواط محمود!).

وهذا من عجائب القوم؛ لأن الغلو في أصله مذموم، ولا يقبل وجهاً من المدح، كما لا يمكن تصور وجود (غرور محمود) و (حسد محمود) و (ظلم محمود) و (فاحشة محمودة) و (عقوق محمود) و (سحت محمود) و (رمي محصنات محمود) و (شرك محمود)..الخ.

والله تعالى نهى عن مطلق الغلو بقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ..﴾[1]

وفي آية ثانية: ﴿لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾[2].

وهنا ربما يسرع أحدهم – انطلاقاً من فهمه لمعنى الآية الثانية – ليقول لك: أرأيت؟ يقول: لا تغلو غير الحق. إذاً هناك غلو بِحَق.

(١) سورة النساء الآية ١٧١.

(٢) سورة المائدة الآية ٧٧.

هذه الشبهة مردودة من وجوه عدة:

الأول: أن ((غير الحق)) المثبتة للغلو لا تعني وجود غلو بحق، تماماً كما لا يعني قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[1]. أن هناك قتلاً للأنبياء بحق.

وكما لا يعني قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[2] أن هناك تكبراً بالحق.

ولا يعني كذلك قوله: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ﴾[3] أنه من المشروع اتخاذهما إلهين (مع الله) وليس (من دونه).

الثاني: أن الإمام نهى عن الغلو مطلقاً في مواضع عديدة، منها قوله: (هلك فيّ رَجُلان، محبٌّ غال ومبغض قال)[4] وفصَّل في مقام آخر فقال: (سيهلك فيّ صنفان: مُحِبٌّ مفرِطٌ يذهب به الحب إلى غير الحق)[5] ومعنى هذا أن الغلو هو سبب ذهاب الحب بالمحب إلى غير الحق، ولو كان للغلو أي معنى إيجابي أو محمود لما قصر الإمام عليه السلام في بيانه.

الثالث: إن المعنى اللغوي لكلمة الغلو هو: تجاوز الحد، وغلا في الدين والأمر يغلو غلواً: جاوز حده، وفي الحديث الشريف: إياكم والغلو في الدين[6] وهذا ما تمت الإشارة إليه من الذم الأصلي للمعنى.

من المهم إذاً معرفة أصل الوضع اللغوي للكلمة التي يوصف بها إنسان، هل وضعت للذم مطلقاً كالحسد واللؤم والخسة والدناءة والنميمة..

(١) سورة آل عمران الآية ١١٢.
(٢) سورة الأعراف الآية ١٤٦.
(٣) سورة المائدة الآية ١١٦.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم ج١ ح٢٠٥٤ ص٦١ - نهج البلاغة قصار الحكم ح١١٧.
(٥) نهج البلاغة ص١٧٣ الخطبة ١٢٧ - جامع الأخبار ج٤ ص٢.
(٦) لسان العرب ج٦ مادة غلا ص٤٦٦.

وما شاكل ذلك، أم وضعت للمدح والحمد مطلقاً كالمروءة والفضيلة والعفة والإحصان والتقوى والبر والحق والعدل.. وما شاكل، أم وضعت لما يحتمل الحمد أو الذم بالإسناد إلى المعنى في السياق، كالطاعة والسمع والعداوة والعبادة والكسب والشهادة والمسارعة والخشية والخوف.. الخ.

ونقل الكاتب عن الخصيبي تقسيمه الغلو إلى نوعين: محمود ومذموم؛ فالمحمود هو المبالغة في حب الإمام علي عليه السلام.

والمذموم بمعنى التأليه وإسقاط التكاليف الشرعية.

فهنا نؤكد مجدداً أن المبالغة في حب الإمام لا يسمى غلواً، وإن كان معنى المبالغة أصبح على ألسنة العوام قريباً من الغلو، لكنه في الحقيقة يعني: أن تبلغ من العمل جهدك. (معجم العين).

إن الإمام علياً له قدر، وهذا القدر هو حدود البشرية من ولادة ونمو وزيادة ونقصان ومرض وشهوة وحاجة للغذاء وحاجة لاطراح الفضلات، ثم الموت أخيراً. كل هذا عرض للإمام حقيقة، كما يعرض لنا تماماً، وليس على سبيل (الظاهر) كما اصطلحوا على خداع الأتباع بهذا التخريج: على سبيل الظاهر.

إنها كلمة حق يراد بها باطل.

ذلك لأن المراد من قولهم هذا وبكل وضوح هو الإيهام.

شيء يشبه خداع الحواس. تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيرا.

هذه الإضافة (أظهر كذا) أو (فعل كذا على سبيل الظاهر) المراد منها نسف كل الحقائق التي تقدمتها. بل المراد منها أولاً: نسف الظاهر نفسه!!

الإمام تزوج: على سبيل الظاهر. يعني لم يتزوج حقيقة.

أكل. شرب. مرض. عجز عن كذا. كله (مجرد ظاهر). إذاً اعتبر أنه لم يأكل ولم يشرب ولم يمرض ولم يعجز. فذكر الظاهر لتفرقة أفعاله عن

أفعالنا، فأنت لا تقول عن نفسك أو عن أبيك مثلاً إنه تزوج على سبيل الظاهر!

هذه الإضافة ستجعل كل ما قاله الإمام علي عليه السلام عن نفسه بأنه بشر وأنه عبد لله وأن أصحابه ملؤوا قلبه قيحاً وأنه وأنه.. يصبح كل ذلك لا معنى له حقيقة بفضل تلك العبارة السحرية. بل تصبح أحكام القرآن وحقائقه كلها لا شيء والعياذ بالله.

فمهما قرأت عليهم من أدلة وشواهد من آيات الله، أدلوا لك بهذا الدلو.

تقول لهم: قال تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وآله: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾[1]، فيجيبونك: هذا على سبيل الظاهر.

ومن أغرب ما قرأت من تأويلاتهم لقول الإمام علي عليه السلام: (أنا عبد الله وأخو رسوله) قولهم: أي: عبد عند الجهلة!!

فليقولوا إذاً لكل تابع من أتباعهم: إنه أخو رسول الله عند الجهلة.

تزوج عند الجهلة.

أنجب عند الجهلة.

أصيب بالجروح في جسده عند الجهلة.

قتل واستشهد عند الجهلة.

ما الذي يشفي من تلك الجهالات؟ أن تقول: (أظهر ذلك). وأن تقول أيضاً: إن الإمام أَجَلُّ من أن يولد ويموت ويصاب بالجراحات ويجوع ويخضع لصروف الدهر وشهوات الجسد البشري.

إنهم يرفعون الأسوار على عمد بين ظاهر الشريعة وباطنها، ويجعلون للحادثة التاريخية وجهين: وجهاً ظاهراً وآخر باطناً. فالوجه الظاهر من تلك الحادثة:

(١) سورة فصلت الآية ٦.

وقوف الممثل المسرحي على خشبة المسرح أمام جمهوره ليراه الناس وهو يصيح وينفعل ويتعرض للأذى والضر. واما الوجه الباطن الحقيقي فهو ما يعلمه هو عن نفسه، وما يعلمه كاتب العمل المسرحي ومخرجه ورفاقه وأهله، وما يجب أن يعلمه كل عاقل من أن هذا البطل لم يتعرض حقيقة لشيء مما رآه الناس.

وينقل الكاتب عن «عبد الله فياض» قوله في «محمد بن نصير»:

(إن ابن نصير كان مكلفاً بما صرح به.. ولقد لعنه الإمام من قبيل خرق السفينة..)

وأكد بقوله: (كذلك لعنة الإمام لابن نصير فقد كانت من ضغط الرأي العام العباسي والشيعي حتى لا يطلبوا منه المزيد، مثلما طلب من أمير المؤمنين عليه السلام أن يفعل بإخوة عبد الله بن سبأ حينما دَخَّنَ عليهم فاختنقوا).

وينقل كذلك قول الفياض: (والدليل هو قول الإمام الصادق عليه السلام: لا تلعنوا أحداً بلعنتنا، ولا ترحموا أحداً برحمتنا؛ فكم لعنة لنا كانت رحمة على صاحبها، وكم رحمة كانت لعنة منا على صاحبها).

أقول:

ارتضى الكاتب على نفسه أن ينقل عن الفياض اتهام الأئمة المعصومين عليهم السلام بأنهم يلعنون ويقتلون إرضاء للجمهور، وليس لله عز وجل!

ارتضى أن يتهم معه الأئمة بأنهم يلعنون من لا يستحق، ويرحمون من لا يستحق، وأنهم ينهون أتباعهم عن اتباع سنتهم نفسها. فإذا كان الإمام قد لعن فلاناً، فما المشكلة في أن يلعنه الأتباع؟

وكيف تكون لعنة الإمام رحمة، ولا تكون لعنة الأتباع رحمة مثلها؟!

أليس في هذا الكلام الخطير إسقاط لعدالة الأئمة وعصمتهم؟

وإذا تركنا اللعن تحرجاً، فلماذا النهي عن رحمة من رحمهم الأئمة؟ يعني هذا في نهاية الأمر: لا تلعن أحداً من أعدائهم، ولا ترحم أحداً من أوليائهم!

وبكل الأحوال، فهذا ينسف ليس فقط عقيدة التأليه التي قامت عليها الطريقة في الأئمة، بل عقيدة العصمة أيضاً.

ومن الغريب أن عبد الله فياض - المنسوب كما قال للشيعة الإمامية - ينقل هذا عن الأئمة، في الوقت الذي كتب فيه علماء الشيعة يهاجمون صحاح السنة التي تروي أخباراً عن النبي ﷺ بأنه يشتم ويضرب ويلعن من لا يستحق!: (عن عائشة، قالت: «دخل على رسول الله ﷺ رجلان فخلوا به فسبهما ولعنهما فلما خرجا من عنده قلت: يا رسول الله، لمن أصاب منك خيرا ما أصاب منك هذان فقال: يا عائشة، أوَما علمت ما شارطت عليه ربي، إني قلت: اللهم إنما أنا بشر فمن سببته أو لعنته فاجعلها له زكاة وأجرا»)(١).

وفي لفظ آخر: فاجعله له رحمة.

ولا أعلم كيف يجيز الشيخ على الأئمة المعصومين عليهم السلام ما يترفع هو عن فعله، إذ يقول أنه لا يلعن أحدا تحرجاً واحتياطاً وورعاً. فكيف يقول إن الأئمة يرمون اللعن هكذا دون تثبت؟!

والعجيب أنه قال هنا: إن الأئمة حين يلعنون يعرفون من يستحق اللعنة!!

فكيف نوفق بين هذه المتناقضات؟

(١) مسند إسحق بن راهويه ١٤٦١.

السؤال السادس:

عن سبب تأليف الرستباشية:

جاء في جواب الشيخ: (إنه لم ينشأ في الطائفة كُتّاب مثاليون، ولا مراقبة، فكان المتصرف بالأمور هو شيخ العرب، يقول فيصفق له الرعاع من حوله دون أدنى تأمل أو مراجعة).

أقول:

إذا كان الكاتب معترفاً بهيمنة الجهل على الطائفة منذ نشأتها، وبأن الأيدي قد تلاعبت بالرستباشية كما شاء لها الهوى، فكيف يمكن تقديمها لأبناء الطائفة على أنها المرجع التأويلي الباطني الذي اتخذه الكثيرون بديلاً عن القرآن؟

كيف لِوَرِعٍ يخشى موقف الحساب وقراءة كتاب الأعمال أن يلقى الله بهذا؟

ومع ذلك، فإن الشيخ لم يجب على سؤال: ما سبب تأليف الرشتباشية؟ بل ساق رواية عن محمد أمين غالب الطويل في «تاريخ العلويين» تقول: إن الخصيبي كتب لـ(راس باش) الرسالة وسماها الرستباشية، أي: (كن مستقيماً)، وقال: إنها رواية ضعيفة جداً. واستهلك أكثر الإجابة في الحديث عن تحريم الخمر.

السؤال السابع:

١- معنى العصمة والمشمولون بها:

٢- هل تشمل عوالم النور؟ ولماذا لم تشر إليها الأحاديث الواردة عن طريق الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام؟

٣- كيف استدل الخصيبيون على عصمة شيخهم؟

أجاب الشيخ عن الأسئلة السابقة بما يلي:

١- فيما يتعلق بالسؤال الأول عن مفهوم العصمة التي للأنبياء والأوصياء قال: إن الأنبياء والأوصياء لا يرتكبون المعاصي بمعنى فعل المحرمات، فهم معصومون بهذا المعنى، ولكن الخطأ الذي قد يقعون فيه هو ترك المستحب (الأولى). وقال ما معناه: (إن اختلاط الأنبياء بالناس وتأثرهم بالظروف هو ما نسميه ظهورهم بالعجز والمعجز..).

٢- فيما يتعلق بعوالم النور ذكر أوجهاً مختلفة لماهية هؤلاء، وقرر أن مجرد قولنا عالم النور يعني عصمتهم وإن لم يذكر النبي ﷺ هذا في حديثه، لأنه (لم يبح بالعصمة ونفي الرجس لغير أهل البيت..).

٣- عن عصمة الخصيبي قال: (أنا أعتبره معصوماً عصمة مجازية اعتبارية، ليس لكونه فقط من الكروبيين، بل لأنه تلقى العلم اللدني من دحوته إلى سماء أمير المؤمنين. وما جاء عنه بالنسبة لعلم التوحيد يؤكد نورانيته العلمية والروحية..).

أقول:

أولاً: قوله إن الخطأ أو المعصية التي قد تنسب للأنبياء معناها ترك الأولى (المستحب). هذا الكلام غير مؤسس على مرجعية شرعية من القرآن والسنة؛ فقوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[1]، صريح في المعصية والغواية المستتبعة عنها، وهذا لا يكون بمجرد ترك مستحب.

وبهاذا نفسر إقدام النبي موسى عليه السلام على أخذ رأس أخيه ولحيته يجره إليه؟ هل هذا تكليف شرعي؟ لماذا إذاً نهاه أخوه هارون عن ذلك، وقال له: ﴿يَا بْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي..﴾[2].

(١) سورة طه الآية ١٢١.

(٢) سورة طه الآية ٩٤.

؟ تكليف شرعي أيضاً؟ فَوِفْقَ تعريف الشيخ لخطأ الأنبياء يكون الأخذ برأس هارون ولحيته وجره أمام القوم عملاً مباحاً، وإنما الأولى أن يترك ذلك، ويكون اعتراض هارون على فعل أخيه أو سكوته عملان مباحان، وإنما الأولى والمستحب أن يعترض، ولو سكت لكان مذنباً أو عاصياً.

وإذا سلمنا بما قاله من أن خطأ الأنبياء هو ترك الأولى، فلماذا خير الله نبيه بين الفعل وعدم الفعل، ولم يجعل تناول أحدهما أو تركه خطأ ومعصية، فقال له: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ..﴾[1].

وقال: ﴿فَإِنْ جاؤُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾[2]

أما قول الشيخ (إن اختلاط الأنبياء بالناس وتأثرهم بالظروف هو ما نسميه ظهورهم بالعجز والمعجز..)

فلا علاقة للمقدمة بالنتيجة. وفي كلام الخصيبي إن الله أظهر العجز والمعجز، ويقصد بإظهار العجز سكوت الإمام عن ظلم الناس له وعدم أخذهم بالقدرة، والإمام هو المعنى كما يعبرون.

لكن إذا كان السكوت والإمهال وعدم أخذ الظالم بالقدرة وتأخير البطشة الكبرى هو إظهار للعجز، فإن الله تعالى ما زال يظهر (العجز)، منذ أيام إبليس إلى يوم الناس هذا.. تعالى عما يقولون. وإنما يظهر العجز من المخلوق، ولا يجوز بأي حال إطلاق هذا اللفظ على أفعال الله عز وجل. وقد قال في محكم كتابه: ﴿وَما كانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾[3].

أما إذا ظهرت القدرة على يد نبي أو إمام فإنما تنسب تلك القدرة إلى الله تعالى: ﴿وَأُحْيِ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللهِ﴾[4].

(١) سورة التوبة الآية ٨٠.
(٢) سورة المائدة الآية ٤٢.
(٣) سورة فاطر الآية ٤٤.
(٤) سورة آل عمران الآية ٤٩.

تماماً كما تنسب قدرة النحل على صنع العسل إليه تعالى، وهو شيء (معجز) بالنسبة للبشر، كما هي أكثر الأشياء في الطبيعة.

وتجدر الإشارة إلى أن العصمة بمعنى الحفظ من الذنوب والمعاصي لم ترد في القرآن الكريم، وفيما يلي عرض استقصائي لما جاء من معنى العصمة في القرآن:

أ- ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾(١) بمعنى: يحميك من أذاهم.

ب_ ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾(٢) بمعنى: من يحول بين إرادة الله وبين أن ينالكم بما شاء.

ج- ﴿قالَ سَآوِي إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْماءِ﴾(٣).

معناه كما سبق: الحماية من أذى الماء والغرق.

د- ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(٤).

بمعنى الالتجاء إليه والتوكل عليه.

هـ- ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً﴾(٥).

التمسك بطاعته والانضواء تحت كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة: ﴿وَلا تَفَرَّقُوا﴾.

و- ﴿إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً * إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ للهِ فَأُولئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٦).

---

(١) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٢) سورة الأحزاب الآية ١٧.

(٣) سورة هود الآية ٤٣.

(٤) سورة آل عمران الآية ١٠١.

(٥) سورة آل عمران الآية ١٠٣.

(٦) سورة النساء الآيات ١٤٥ - ١٤٦.

لا يخرج المعنى عما سبق في الآية، وهو خطاب عام لكل منافق أن يرجع ويتوب.

ز- ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ..﴾[1]. بمعنى ما سبق.

ح- ﴿وَلَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾[2].

بمعنى اعتصم بالله ولجأ إليه.

ط- ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ما لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عاصِمٍ﴾[3].

ي- ﴿قالَ لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾[4].

ك- ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ما لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عاصِمٍ﴾[5].

كلها بمعنى ما سبق من الحماية والمنع.

ل- ﴿وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ﴾[6].

النهي عن الإبقاء على امرأة كافرة في عصمة زوج مؤمن، فحبل النكاح ينقطع بالكفر.

ثانياً: في إجابته على سؤال عن عوالم النور تساءل من هم على وجه التحديد؟ وأورد ثلاث مقالات في ذلك، وذكر أن كل وجه منها يناقض الآخر، وإنه لم يحدد وجهاً منهن يتبناه مخافة التكفير.

هذه نتيجة طبيعية للتعمق في مسائل ليست من التكليف في شيء، وليس لها حظ من الوثاقة، وكل ما جاء في القرآن الكريم من صفة الملائكة الذين خلقوا من النور - كما في الأحاديث الشريفة - أنهم: ﴿لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾[7]..

---

(١) سورة الحج الآية ٧٨.

(٢) سورة يوسف الآية ٣٢.

(٣) سورة يونس الآية ٢٧.

(٤) سورة هود الآية ٤٣.

(٥) سورة غافر الآية ٣٣

(٦) سورة الممتحنة الآية ١٠

(٧) سورة التحريم الآية ٦.

وفي الطريقة أن المؤمن يرتقي بإيمانه إلى (الصفاء)، ويصبح (نوراً)، ويتخلص من كثافة الجسد وشهواته وعلله.

ليس هناك تأييد لهذا الطرح في قرآن ولا سنة صحيحة، فالمؤمن لن يغادر جسده في عالم الخلود والنعيم، سيبقى مع الطين لأنه خلق منه، والله لا يغير سنته في الخلق، وكل ما في الأمر أنه سيتحرر من عيوب الدنيا ونقائصها من مرض وضعف وتعب وشيخوخة..

وعندما تحدث القرآن عن حال المؤمنين عند الحشر يوم القيامة قال: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ..﴾[1].

فلم يتحول المؤمن إلى نور، لكن النور يسعى بين يديه. وفي آية أخرى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾[2]..

ثالثاً: وفيما يتعلق بالخصيبي، فإن الكاتب من جهة يقول إنه ظهرت أخطاء وهنات منه، ومن جهة أخرى يقول إنه معصوم عصمة مجازية اعتبارية لأنه من الكروبيين، ولأنه تلقى العلم اللدني من دحوته إلى سماء أمير المؤمنين..

هذا الحديث فيه مغالطات ومعميات عديدة:

١ -: ما طبيعة هذه الأخطاء والهنات التي ظهرت من الخصيبي؟ هل هي من قبيل ترك المستحبات أيضاً؟ أم إن للخطأ هنا مفهوما ثالثاً غير ترك مستحب أو فعل منهي عنه؟ ومع أهمية الأمر وخطورته فإنه لم يذكر مثلاً واحداً من تلك الأخطاء.

٢ -: ما معنى العصمة المجازية الاعتبارية؟ هل تفترض أن الناس الذين تخاطبهم قادرون على حل الرموز وفك الطلاسم؟

---

(١) سورة الحديد الآية ١٢.

(٢) سورة الحديد الآية ١٩.

٣- علل (العصمة المجازية الاعتبارية) تلك بأن الخصيبي من الكروبيين! فكيف تحقق أن الخصيبي منهم؟ وكيف غالط نفسه عن هذا حين فسر بيت الخصيبي فيما بعد والذي يقول فيه:

وطـــرت بنـــاشري ملـــك كـــــروبي إلى وطنــــــي

بأن الناشرين (الجناحين) للملك الكروبي، وليس للخصيبي؟ وفي التفاسير أن الكروبيين هم حول العرش كجبريل وميكائيل وإسرافيل، ومن في طبقتهم.

كما علل تلك العصمة بأن الخصيبي (دحي) إلى سماء أمير المؤمنين! وأنه أخذ العلم اللدني منه!

هل يتفضل علينا بالشرح؟ ومن أين استقى طرفي هذه المعلومة إن فهمت حتى يتحملها ويلقيها إلى أبناء الطائفة؟ لماذا لا يحيلنا إلى كلام الخصيبي الذي من المفروض أن يصرح بهذه الدعوة في كل كتبه مفتخراً بهذا الشرف الباذخ الذي لم ينله الآخرون، ولا يكتفي ببيت من الشعر يؤوله كل كما شاء.

من الذي (دحا) الخصيبي إلى تلك السماء؟ وأين هي؟ علماً أنه لا يصح لغة استخدام الفعل (دحا) للتعبير عن انتقال الكائن الحي من مكان لآخر، واستخدم هذا الفعل في القرآن والسنة بمعنى البسط والتوسعة للأرض ومنه قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها﴾[1].

وفي نهج البلاغة: (اللهم داحي المدحوات..)[2]..

وبعد: فهل من الغلو المحمود أن يعتقد أن لأمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاته سماء يلقن فيها العلم اللدني لشيعته وأتباعه؟!

(١) سورة النازعات الآية ٣٠.

(٢) نهج البلاغة/الخطبة ٧٢.

السؤال الثامن:

عن نسبة الدين والمذهب والطريقة.

قال الشيخ في معرض شرحه لمعنى (الصورة النورية):

(لا يمكن لبشري أن يرى الله سبحانه بنورانيته العظمى وسيدنا موسى لم يتمكن من رؤيتها فصعق.. وهنا عاد موسى بعد أن صعق إلى النورانية وهي جوهره..وجوهره هو وجوده قبل ظهور البشر..عاد لكي يتمكن من رؤية الحجاب النوري).

جملة ملاحظات على ما ذكره الشيخ في تلك الأسطر:

١- إن ما ورد في القرآن الكريم وفي كلام النبي صلى الله عليه وآله وفي نهج البلاغة وغيره من آثار أهل البيت عليهم السلام هو أن الله لا يرى وحسب، أي دون إضافة: بنورانيته العظمى، التي تشي بأن هناك مراتب وفروقاً في نور الله، أو إنه قابل للتجزئة والتبعيض، ولا حاجة لإيراد أمثلة على ما قلت لاستفاضة الأدلة.

٢- قوله: عاد موسى إلى جوهره، أي إلى النور وهو وجوده قبل البشرية.

ولنا هنا أن ندقق ونسأل: أيهما أسبق في الوجود: البشرية أم النورانية؟ الجسد أم الروح؟

بحسب صريح القرآن: البشرية قبل النورانية، والجسد قبل الروح. هذا ما عبرت عنه الآية الكريمة: ﴿**إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ**﴾[1].

إذاً البداية: خلق بشر من طين. وبعد ذلك يقول: ﴿**فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**﴾. و«إذا» ظرف لما يستقبل من الزمان. فالنص واضح في مراتب الخلق.

---

(١) ص٧٢.

٣- لماذا عاد موسى إلى النورانية كما يقول الشيخ؟ عاد ليرى ربه بنورانيته.

أين النص القرآني الذي يسعفه ويؤيده؟ إن موسى لم (يعد)، وإنما (صعق) وحسب. والصعق ينتج عنه إما الموت وإما غياب الوعي، والذي حدث لموسى.

هو الأمر الثاني بلطف من الله، والدليل على ذلك قوله: ﴿فَلَمَّا أَفاقَ قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾[1] فهنا غيبوبة بعدها إفاقة وتوبة مما فكر وطلب من رؤية.

أما الذي حدث لبني إسرائيل فهو صعق فموت، وهو صريح القرآن إذ يقول: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2].

فهل يقول الشيخ إن بني إسرائيل قاموا أو عادوا إلى النورانية ليروا ربهم كما فعل موسى؟

السؤال التاسع:

قال السائل: (أرجو ذكر لمحة تاريخية عن محمد بن جندب يتيم الوقت والعصر والزمان، فإن تواريخ الرجال لم تأت على ذكره).

في الجواب: وجه الشيخ هجومه على صاحب السؤال قائلاً له: (أنت تركز على أسئلة ليس لها جواب لعدم وجود مثل هذا الجواب أصلاً.. وتمضي في هذا كي يلمس القراء عضلات علمية لديك لا يمتلكها سواك..) وذكر الشيخ أن ابن جندب كان يتيماً لأبي شعيب، وأخذ عنه كل من الجنان وهالت.. ثم أسس الجنان طريقته الجنبلانية، وكذلك أسس هالت طريقته

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٣.

(٢) سورة البقرة الآية ٥٥.

الهالتية.. ووصل إلى هذا القرار: (لذلك كنا ملزمين بالطريقة الجنبلانية الخصيبية).

لا أجد موجباً لهذا الهجوم الذي يصل إلى اتهام السائل بمحاولة استعراض عضلاته العلمية من وراء سؤال عن تاريخ رجل يعتبر علماً ومرجعاً في سلسلة التعليم الباطني، ومع ذلك فهو مجهول الولادة والسيرة والوفاة!!

إن هذا التشنج نلمسه كثيراً حيال الأسئلة المثارة عن رجال الطائفة، وعادة يوضع من يثير تساؤلات كهذه في مواجهة تهم الشك واضطراب العقيدة وغير ذلك.

إن الغموض يلف حياة أكثر رجال الطائفة الموصوفين بأنهم المراجع، كالجنان والخصيبي والجلي وتلاميذ الخصيبي عامة، ولعل أول كتاب علمي عرّفنا بالخصيبي هو كتاب (**الحسين بن حمدان الخصيبي بين الطرق الصوفية والحركات الباطنية**) والشيخ يعترف بعدم وجود تاريخ ومؤرخين لديهم، فهل غفل عن هذا الجانب كل الذين تصدروا المشهد منذ ألف عام، فلم يكتبوا كلمة في تاريخ رجالهم؟ أو إنهم لم يسمعوا بشيء اسمه تاريخ وتراجم؟ فأين الحجة التي تلزم الأتباع، إذا كانت الرجال مجهولة، والكتب محرفة ومنحولة؟

كما ينبغي التوقف عند قول الشيخ في الإجابة: إن الجنان أسس طريقة، وهالت أسس طريقة، ونحن ملزمون بطريقة الجنان الجنبلاني التي عليها الخصيبي.

فمن الذي يلزم؟ وما الدليل؟

السؤال العاشر:

عن تحليل أبي سعيد للخمرة، وإدخاله إياها في الصلاة.

مما أجاب به الشيخ:

١ - إن معظم نصوص أبي سعيد المخالفة مدسوسة عليه.

ثم تساءل: لماذا لا نشير إلى الأساس في تلك المخالفات؟

أقول:

دعنا نسأل مع الشيخ: ما هو الأساس في تلك المخالفات؟

لماذا قبل هؤلاء الذين يسمونهم مشايخ الطائفة وعامة أبنائها أن يخالفوا كتاب الله عزّ وجلّ ويشربوا الخمر مستحلين، بل ويجعلوا منها طقساً مقدساً؟

الجواب برأيي واضح: المرجعية منذ البداية لم تكن صحيحة.

لقد تأسس باطن الطريقة على تراكم العادات والتقاليد، وتم تلقين العوام هذا المبدأ المتراكم، فقبلوه كتقديس للسادة والكبراء في أصول الدين وفروعه، ولماذا لا يقبلون أن الخمر محرمة في مجالس العامة، حلال مع الخاصة؟!

لماذا تتحدثون عن ضرورة الالتزام بكتاب الله تعالى ظاهراً وباطناً، وتتحللون من هذا المبدأ في مسائل أعظم وأخطر؟

فالله تعالى يقول إن آدم عصى ربه، ويقول من يروي عن الخصيبي أنه قال: إن آدم لا يعصي، والمخاطب باطناً هو زيد بن حارثة!

ثم يأتي أبو سعيد لينفي عن زيد بن حارثة المعصية، فهو كذلك من عالم النور لا يعصي ولا يخطئ؛ فالمخاطب حقيقة في الآية هو المؤمن العادي من عالم البشر عالم المزاج والكدر!

ليت الذين يسوقون العوام إلى المغاور المظلمة من أمثال تلك التأويلات يقفون وقفة شجاعة مع أنفسهم ومع أبناء طائفتهم، فيدافعوا عن القرآن الكريم، ويعصمونه من لغو الكلام بدل دفاعهم عن السادة والكبراء.

٢- قال إن نص أبي سعيد كان اتخاذ الخمرة في التعليم عبارة عن (نهلة) كرمز وليس كشرب. ثم سأل: (هل نهلة واحدة تسمى شرباً)؟

أقول:

أنت تعترف بأن أبا سعيد حلل (النهلة) من الخمر، ولكنك تخرجها من دائرة الحرام؛ لأنها ليست مما ينطبق عليه وصف الشرب برأيك، فأي فقه هذا؟

القليل حلال، والكثير حرام؟

ثم يستشهد بما جاء في رسالة (إيضاح المصباح) من قول منسوب للنبي ﷺ: (ما أسكر قليله فكثيره حرام). ولا أعلم هل هو خطأ في الكتابة أو النقل؛ لأن الحديث أصله: (ما أسكر كثيره فقليله حرام)[1]، وفي لفظ آخر: (فالقطرة منه حرام).

فإذا قصد فعلاً اللفظ الأصلي للحديث: (ما أسكر كثيره..) فإنه يكون قد ناقض نفسه في استحلال (النهلة) التي ذكرها. وإن قصد اللفظ الآخر فهي مخالفة لجميع الطوائف بلا استثناء، لأنه يحل السكر بالقليل ويحرم الشرب الكثير كما هو واضح.

٣- أحسن فيما تحدث عنه من صفة خمرة الجنة، ومن دلالة قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً﴾[2]، وذكره أنها نزلت في مشركي قريش، وليس فيها إباحة إنما هي آية من آيات الله عز وجل.

لكنه لم يُلفت النظر إلى النكتة البلاغية في فصل الآية بين السكر والرزق الحسن، فالسكر إذاً ليس من الرزق الحسن، والعطف يعني فيما يعنيه: التغاير والمخالفة، مثل: ﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ و ﴿أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ و ﴿شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾.

وكذلك، فإن ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ فعل مضارع، وليس فعل أمر، والمضارع يصف الشيء ولا يأمر به، فليس في الآية أي دليل على الإباحة. لكنه حيث

---

(١) الكافي ج٦ كتاب الأشربة الأحاديث ٦-٧-٨-٩.

(٢) سورة النحل الآية ٦٧.

توهم شيئاً من ذلك زعم أن الآية منسوخة، واستدل على وجود النسخ بقوله تعالى: ﴿ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها﴾[1].

أقول:

أولاً: إن نسخ آية ما يعني تغير حكمها أو توقف العمل به، فهل في الآية حكم تغير أو تبدل؟ إن الآية ليست أصلاً من آيات الأحكام، فكيف تصح دعوى النسخ؟

ثانياً: إن الاستشهاد على وجود النسخ (رفع حكم ما) بالآية السابقة ((ما ننسخ من آية)) غير صحيح؛ لأن الآية هنا آية كونية طبيعية، وليست آية بمعنى جزء من سورة، ولم ترد كلمة آية المفردة بذلك المعنى في أي موضع من القرآن.

السؤال الحادي عشر:

وعنوانه (حل التعارض في الشريعة):

وهو عنوان خادع؛ إذ لا يوجد تعارض في الشريعة، وإنما التعارض والتناقض في الطريقة وما نسب فيها من أحاديث لأئمة أهل البيت عليهم السلام. وهذا ما قصده السائل فعلاً يقول هو الاسم، وخبر آخر يقول: إن الكعبة آخر صنم يعبد على الأرض!

حاول الشيخ في الجواب أن يجد تأويلاً مناسباً يسيغ ذلك الحديث المستقبح، فقال: إن الإمام الصادق عليه السلام عندما قال: (لم يبق صنم غير هذه البنية)، ربما قصد حجارتها فقط، وليس معناها، ليشير إلى الخطأ الذي يرتكبه المسلمون، وكيف أنهم يلهثون حول حجارتها وهم لا يعرفون باطنها!

أقول:

(١) سورة البقرة الآية ١٠٦.

كان على الشيخ في جوابه – هدانا الله وإياه إلى صراط مستقيم – أن يسارع بإماطة الأذى عن أهل بيت النبوة أن ينسب إليهم مثل تلك المنكرات من الأحاديث التي تُجرِّئ الناس على التهتك بالدين والسخرية من شعائر الله التي أقامها في الأرض، لا أن يؤكد صحة الحديث مهما كان تبريره ودفاعه.

وهل رأيت مسلماً واحداً يعبد حجارة الكعبة؟ صحيح إنهم يعظمون هذا البناء ويقبلونه، ولكن هذا فعل النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وهم لنا أسوة وقدوة.

كل مسلم يحفظ ويردد قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ..﴾[1] فأين الوثنية المزعومة؟

أما ما تقوّله الشيخ من أن عدم معرفة باطن الكعبة يجعلها مجرد صنم، فهذا مما ابتدعه هو ومن أخذ عنهم فيما يسمى رسائل (الباطن)، والدين براء من هذا الاعتقاد والباطن الذي لا دليل عليه.

هناك مليار ونصف مليارمسلم في عصرنا فقط، دع عنك العصور السالفة، وهم حجوا ويحجون إلى هذا البيت، ويطوفون بحجارته، ولا يعتقدون أن لها باطناً، فهل أصبحوا جميعاً من الوثنيين؟ وهل أصبحت الكعبة عندهم صنماً؟

وهل يعقل أن الإمام أصبح يتكلم بمنطق ابن أبي العوجاء -زعيم الزنادقة في عصره- الذي كان يُشَبّه الطواف حول الكعبة بهرولة البعير؟!

أما الاعتقاد بأن باطن الكعبة هو السيد (محمد)، فهذا ما لا يصح عقلاً ولا شرعاً ولا دليل على القول به.

ما معنى أن يكون الظاهر حجراً والباطن نبياً؟

لقد هُدمت الكعبة في التاريخ عدة مرات، بأسباب طبيعية أو بشرية، فهل هُدم بذلك ظاهر النبي؟

---

(١) سورة قريش الآية ٣.

وقال في تفسيره لحديث: (إن الصلاة الشرعية نجاسة وإن أرض الكوفة هي ممسوخة نجسة وسخة لا تجوز الصلاة بها)، إن القصة وما فيها أن واحداً من الفرس كان يصلي في مكان ما – بعد خروج الإمام من معركة الجمل- وطبيعة الأرض نجسة لسبب أو لآخر، فجاءه هاتف يقول: أتتقرب إلي بالنجاسات.. ففسرها البعض بأن المقصود بالنجاسة هو الصلاة كصلاة، في حين أن المقصود الأرض..

إذاً كل ما في الأمر أن رجلاً صلى في مكان غير طاهر لحقته نجاسة عرضية فاستوجب هاتفاً من السماء يصيح به: أتتقرب إلي بالنجاسات؟

لا أدري، هل اقتنع أحد بهذا؟ والأمر من الناحية الفقهية لا يستدعي هتاف السماء للرجل، فالمسألة من البساطة بحيث أن أي طالب مبتدئ في الفقه يعلم حكم الصلاة في مكان غير طاهر، وهو أنه في حال عدم العلم تصح الصلاة، وفي حال العلم يجب الإعادة.

لكن ألفاظ الحديثين السابقين لا تشفع لهذا التخريج، فهي عامة قاطعة: (إن الصلاة الشرعية نجاسة). (إن أرض الكوفة هي ممسوخة نجسة..).

الصلاة كلها، وأرض الكوفة كلها، وليس صلاتك أيها الفارسي، ولا مكان صلاتك بالخصوص.

أهكذا يحل التعارض؟ إذا كان التعارض يحل بهذا الشكل فلا داعي للدراسة في الحوزات العلمية والجامعات وبالتالي إلغاء علم الأصول الذي تقوم على دراسته بقية علوم الشريعة الإسلامية.

السؤال الثاني عشر:

عن تناقض الروايات الخاصة مع وقائع التاريخ، مثل بيعة الدار؛ حيث جاء في الرسالة المصرية رواية عن سلمان الفارسي أن بيعة الدار تمت في المدينة في منزل أم سلمة، وكان مِنْ حضورها محمد بن أبي بكر. بينما أجمع المؤرخون

على أن البيعة تمت في مكة، وسلمان لم يكن قد حضر إلى تلك البلاد ولا التقى بالنبي ﷺ، ومحمد بن أبي بكر ولد بعد عشرين سنة من البيعة!

١ السؤال واضح، ولكن الشيخ تكلف في البدء الحديث عن بيعة الدار ومصادرها ومواقف العلماء من الحديث، ومناشدات أهل البيت لمخالفيهم للإقرار بالواقعة. ولا أعلم ما علاقة كل هذا بالجواب؟ أفلا يمكن أن ترد عليه تهمة (استعراض العضلات العلمية)؟

٢ قال الشيخ إن السلف - السلف الخاص الذي نقل الباطن - أضافوا إلى بيعة الدار تصريح الرسول ﷺ بمعنوية أمير المؤمنين!

هذا مع العلم أنه يعترف في مطاوي الجواب نفسه أنه ليس لديهم في الطائفة مؤرخون. فمن أين جاء هو وسلفه بروايات تنسب إلى النبي ﷺ تصريحه بمعنوية علي!

ولو سلمنا، فإن ذلك يعني أن النبي ﷺ صرح أمام الناس بألوهية علي، وأن علياً فوقه، وأنه هو الذي أرسله، فيصبح من تمام تكليف النبي ﷺ، ومن تمام البلاغ المبين أن يدعو الناس إلى عبادته وتوحيده، والإيمان بظهوراته.

فإذا كان النبي ﷺ قد صرح وبلغ عن ربه -كما يزعمون في أكثر من رواية وأكثر من كتاب- بل يزعمون أنه قال ذلك في بيعة الغدير أيضاً، فلماذا السرية في هذا الاعتقاد؟

وهل تبخر كل أولئك الناس الذين سمعوا كلام النبي ﷺ في معنوية علي حتى لم يبق لهم أثر في طول التاريخ وعرضه؟

كيف توفقون بين ما ادعيتموه من تصريح النبي ﷺ، وبين قولكم إن ما تعتقدونه هو سر الله، وأن من أذاع ذلك السر أذاقه الله حر الحديد وبرده؟

لا أستطيع أن أتصور كيف يمكن أن يأتي شيخ ويقول لتلميذه: إن الله يريد منك أن تعتقد كذا وكذا، وأن تعبد فلانا وفلاناً، ولكن لا تخبر أحداً بذلك؟!

هل طريق الجنة سري وضيق وخاص وحجر محجور؟

هل جعل الله معرفته التي توصل إلى جنته في طائفة لا تشكل نقطة في بحر من مليارات على سطح الأرض؟ وهي تغلق كل صنابير المعرفة تلك؟

وإذا استثنيت منها نساءها اللواتي منعن من ولوج عالم المعرفة السري، واستثنيت أصحاب العاهات الذين لا يكشف لهم بشيء منه، فكم يبقى؟

إن مقاييس الأهلية لإعطاء كلمة السر الإلهية تتلخص في الشروط الآتية:

١ - أن تكون من أبناء الطائفة ولادة.

٢ - أن تكون ذكراً بالغاً.

٣- أن يكون جسمك سليماً من العاهات المحددة في الطريقة التي تمنع من تعليمك كالبرص والجذام، وما كان من نقص أو زيادة في الخلق ولادية كإصبع ناقص أو زائد.. الخ.

طبعاً المشايخ الآن لا يتحرون رغبة التلميذ في تعلم الباطن، فهم يكونون أول من أفشى السر إلى غير أهله؛ لأن تلمس رغبة المريد وامتحانه بذلك -كما يقولون- كان من الشروط الأساسية في عهد الخصيبي وما تلاه من عهد قريب قبل أن يتعمق الانحراف في الانحراف.

ولو كان هناك إحصاء علمي دقيق في الطائفة لتبين لك وجود آلاف الشباب الملحدين كردة فعل على ما تلقنوه من المشايخ.

السؤال الثالث عشر:

عن ذم المرأة في كتب الطائفة، وأنها آخر قميص المسوخية في البشرية، ثم تنقل إلى المسوخية كالقرد!

في الجواب: أكد الشيخ رفضه لهذه الأحاديث، وأورد ما يقابلها من أحاديث اعتقد أن فيها إنصافاً للمرأة، ومنها:

١-(إن المرأة المؤمنة تصير عبر الأجيال إلى رجل مؤمن).

كما أورد استدراك أبي سعيد على هذا الحديث بقوله: (إلا أنها لا تنجب..والإنجاب يعني تعليم التلاميذ)! وعلق الشيخ بقوله: (وهذا ليس فيه ما يعيب).

أقول:

أولاً: ليس في كتاب الله تعالى حديث عن تناسخ وولادات متكررة تحل فيها النفس مرة بعد أخرى في أجساد جديدة.

ثانياً: تحول المرأة (المؤمنة) إلى رجل، بالإضافة إلى أنها فكرة غير شرعية، فهي غير عقلانية وغير واقعية أيضاً؛ لأن نسبة المواليد الذكور إلى المواليد الإناث ثابتة تقريباً في كل المجتمعات، ولم يطرأ عليها تغير منذ أقدم العصور، فأين هذا التحول المزعوم؟

وإذا كان الكفار أغلبية في المجتمع، فيجب أن يسود العنصر النسائي، أما إذا كان يسير في طريق الإيمان والهداية، فيجب أن تزداد نسبة الرجال، وكلا الاحتمالين باطل واقعاً.

وعندما تحدث القرآن عن النساء المؤمنات ذكر صراحة أنهن يدخلن الجنة وهن نساء كما خلقهن الله. **﴿وَمَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾**[1].

وحال الكفار كذلك: يحشر الرجل رجلاً، والمرأة مرأة: **﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْواجَهُمْ..﴾**[2].

(١) سورة النساء الآية ١٢٤.

(٢) سورة الصافات الآية ٢٢.

وأي عاقل يرضى أن تصبح زوجته التي يحبها رجلاً مثله؟!

إن هذا التصور يصادم الذوق والفطرة، ولا يمكن إلحاقه بشريعة الإسلام.

ومن الطريف ما أورده من استدراك أبي سعيد بقوله: (إلا أنها لا تنجب -أي لا تعلم التلاميذ-) وقال: هذا لا يعيب!

ولنا أن نسأل هنا أبا سعيد ومعه الشيخ محمود: هل هو رجل من الدرجة الثانية؟

هل بقيت معه رواسب أنثوية حتى لا يتمشيخ؟

وكيف يتم معرفة الرجل الذي كان امرأة من الرجل الأصلي، حتى يمنع الأول من المشيخة؟

أم أن الله هو الذي يرتب الأمور تلقائياً بحيث لا يوفق ذلك الرجل - المرأة، أو المرأة -الرجل إلى التشرف بمنصب شيخ وحيازة تلاميذ؟

طبعاً النتيجة المتوقعة والسلوك المنتظر في الطائفة هو تهافت الرجال على المشيخة لتعليم التلاميذ، فبذلك يثبت كل منهم أنه كان وما زال رجلاً، كابراً عن كابر، وليس متحولاً عن امرأة.

ثالثاً: كيف ستكون المرأة مؤمنة عندكم وقد حِلْتُم بينها وبين (معرفة الله)، التي لا يدخل أحد الجنة إلا بتحصيلها؟ بل هي الجنة ذاتها كما تقولون.

سيجيبون: إن المرأة تستطيع الالتزام بظواهر الشريعة من صلاة وصيام وغير ذلك إلى أن يتم التحول.. هذا مخرجهم من الأزمة بأن يلقوا على الله تبعات أعمالهم وتكاليفهم؛ حيث الأصل هو أن يوفر المسترعى لرعيته كل أسباب الهداية، ولا يحول بين أحدهم وبين شيء منها، ولا يكتمه شيئاً من العلم الموصل إلى ما فرضه الله.

٢- الحديث الآخر في دفاعه عن المرأة من كتاب الصراط: (يستمر تحول النساء المؤمنات إلى رجال مؤمنين حتى يصير كافة الخلق رجالاً).

هذا مشابه لما سبقه، وهنا أيضاً نسأل: كيف ستتناسل البشرية عند ذلك؟ مجتمع رجالي مئة بالمئة! هل سيضطرون للزواج من أجنبيات؟ وهل الإيمان هو الذي سيمحق النسل البشري، والكفر هو الذي يضمن استمراره؟ معادلة غريبة! ليس لها أي دليل.

٣- الحديث الثالث: عن حاوي الأسرار للجلي: (إن الله ظهر بحجاب النساء حجة على النساء). وعن محمد بن سنان: (ما زلت موقناً في الظهور الإلهي حتى ظهر بالفرج والوفرة، فغضضت طرفي كالشاك، فَحُجِبْتُ).

هنا لا بد من إثارة بعض الأسئلة والتعليقات:

أولاً: بحسب منطق الحديث فإن رب الأرباب سبحانه وتعالى ظهر بصورة امرأة، وخاطب الخلق من خلالها - مثل فاطمة الزهراء عليها السلام - لتقوم الحجة على النساء.

فماذا يقصدون بقيام الحجة على النساء - كل النساء على وجه الأرض - بظهوره بصورة امرأة؟

المعنى المتبادر والمفهوم أن ذلك تشريف لجنس النساء وتكريم لهن، وأنهن في موقع التكليف وأداء رسم العبادة لله الخالق، حيث كانت فاطمة قدوة وأسوة في علمها وعبادتها. وبهذا تبطل حجة من أراد أن يُسَفه المرأة ويحط من كرامتها، ولا يكون للنساء أي عذر في ترك التكاليف الشرعية.

ولكن الله ذكر تكريم الإنسان عامة في القرآن، وصرح أن باب الجنة مفتوح للذكور والإناث على حد سواء، وذكر نساء مؤمنات بأسمائهن، وجعل من إحداهن آية، بأن أخرج منها نبياً من غير أب (مريم بنت عمران). أفلا يغني هذا عن فلسفة الظهور الأنثوي؟

٤- ذكر حديث محمد بن سنان: (ما زلت موقناً في الظهور الإلهي حتى ظهر بالفرج والوفرة فغضضت طرفي كالشاك فحجبت).

هذا الحديث في كتب الباطن مشهور كما ذكر الشيخ، لكن ما قيمته عند التدقيق في مضمونه: محمد بن سنان الذي عاش في القرن الثالث الهجري، وهو عندهم من النقباء في زمن الإمام الصادقعليه السلام، يقول إن المولى ظهر بالتأنيث فغض طرفه! فعمن يغض طرفه وقد عاش بعد الظهور الأنثوي بقرنين؟ ولماذا لم تكن عند ابن سنان ثقافة باطنية بالحد الأدنى مما يعلمه صبيان الطائفة بأن المعنى يظهر بالتأنيث؟

٥- يتحدث عن موقف الإمام عليعليه السلام من المرأة، ويقول إن الإمام (ذم المرأة بطريقة ملفتة للنظر، لكنه قصد امرأة بعينها وهي الحميراء..).

أقول:

هل يصدق عاقل أن أمير المؤمنينعليه السلام الذي لم يقل كلمة سيئة في زوج رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم التي حاربته، بل أكرمها وأوصى بها، وبعث من يوصلها إلى مأمنها بعد انتهاء الحرب، وقال فيها:

(لها بعدُ حرمتها الأولى والحساب على الله)[1].

هل يصدق أنه يأتي بطريق آخر ليذم المرأة بلفظ عام، وفي أكثر من موضع؟

برأيي أن الخطأ في مناقشة موقف أمير المؤمنينعليه السلام من المرأة يبدأ من افتراض أن الأحاديث المنسوبة إليه في هذا الشأن صحيحة وثابتة، وعند ذلك يوضع الإمام في مواجهة آيات القرآن الكريم التي كرمت المرأة والرجل سواء بسواء، وبعد هذا تبدأ التأويلات المتكلفة التي تزيد الطين بلة، وتزيد الإساءة للإمام كضغث على إبالة!

(١) نهج البلاغة.الخطبة ١٥٦.

هل يمكن أن يقول الإمام: (المرأة شر كلها وشر ما فيها أنه لا بد منها)[1]؟!

أو يقول: (إن النساء همهن زينة الحياة والفساد فيها)[2]؟!

أو يقول: (لا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها)[3]؟!

أو يقول: (إن النساء نواقص الحظوظ نواقص العقول نواقص الإيمان)[4]؟!

أو يقول: (لا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر)؟!

ماذا كانت الزهراء عليها السلام ستقول لو سمعت هذا الكلام؟ وكيف كانت ستنظر لنفسها وللإمام زوجها؟

ولماذا مَلّكها رسول الله صلى الله عليه وآله (ما جاوز نفسها)، وأنحلها فدكاً؟ وهل اختلف مع الإمام علي عليه السلام في موقفه من المرأة؟

وما أظن الشيخ يستطيع أن يقنع أحداً أن قوله: (نواقص الحظوظ.. الخ) المقصود به فلانة بعينها؛ لأن هذا القول يعلل كل صفة من النقص بما يشمل عموم النساء وجنسهن، فالقعود عن الصلاة والصيام أيام الحيض شأن عام للنساء، علماً أن المرأة لا تقعد عن العبادة في تلك الأيام لتقاعس وتهاون، ولكنه تكليف شرعي، فهل يكون أداء تكاليف الله وطاعته فيها نقصاً في الدين؟!! عجباً من نسبة هذا (الفقه) إلى الإمام!

وهل إذا صلى المسافر صلاة الظهر ركعتين في السفر وترك ركعتين ينقص من دينه شيء بما ترك؟ كيف يكون ذلك، والله تعالى هو الذي أمره بالقصر؟!

---

(١) نهج البلاغة. قصار الحكم٢٣٨.

(٢) نهج البلاغة. الخطبة ١٥٣.

(٣) نهج البلاغة. الكتاب٣١.

(٤) نهج البلاغة. الخطبة٨٠.

نعم، إن تلك العبارات في نهج البلاغة، ولكن من قال إن النهج قرآن كريم معصوم من التحريف والنقص والزيادة؟

إن كل كتاب وكل قول، بما في ذلك أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام يجب أن تعرض على القرآن ليماز الحق من الباطل، ولا يجوز بحال من الأحوال مساواة النص القرآني بنص الحديث، خاصة في حال التعارض.

إن المشكلة في نظر أبناء الطائفة إلى المرأة هي مشكلة الباطن نفسه، والتأويل الذي يجرونه على آيات وأحكام القرآن، وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام.

العلاج الحقيقي يبدأ بنبذ تلك التأويلات جملة وتفصيلاً. أما عندما تأتي إلى تلميذ غض العود، وتقول له إن النساء المؤمنات هن التلاميذ، فهذا ما لا علاج له بالمسكنات.

السؤال الخامس عشر:

عما جاء في المصرية من نسبة القول بتحريف القرآن إلى النبي صلى الله عليه وآله، حيث طلب من سلمان أن يقرأ (لي إله في قريش) بدل (لإيلاف).

وقال صاحب السؤال: (كلنا يعلم أن تحريف القرآن جرى بعد غيبة الرسول صلى الله عليه وآله..).

مما جاء في جواب الشيخ:

١ - قال: (لم تكن لغة القرآن تشتمل على النقط ولا على الحركات.. وكانت عبارة قريش يمكن قراءتها على النحوين.. الخ)

أقول:

ارفع النقط من الآية واكتبها هكذا (لايلاف قريس)، فهل ستقرأ (لي إله في قريش)؟ هذا واضح البطلان، ولا أعلم كيف يسجل الكاتب رأياً ولا ينظر فيه؟!

٢- أحسن الشيخ إذ قال في تهمة تحريف القرآن بعد النبي ﷺ بأنها (جريمة كبرى بحق الإمام علي)؛ لأنه قد حكم بعد عثمان وسكت عن ذلك.

ولا أعلم كيف أطلق السائل تلك التهمة إطلاق المسلمات، فقال: (كنا نعلم..)، فمن أين جاءه هذا العلم المزعوم المجمع عليه؟

ومن أين جاءه أن بشراً يستطيع أن يخالف مشيئة الله بحفظ القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2].

وقوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾[3]؟

ولأن القرآن مرجع الهدى من الضلال، وعليه يعرض ما حرف من سنة النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، فمن هنا جاءت المشيئة بحفظه، فإذا حرف لم يكن للناس مرجع يرجعون إليه بعد ختم النبوة.

السؤال السادس عشر:

يطلب السائل شواهد قرآنية واضحة وصريحة تثبت ربوبية الظهورات السبعة، دون الحاجة إلى استدلال..)!

يسأل الأستاذ ويطلب من الناس أدلة وشواهد من القرآن، وكأن هذا الكتاب محتكر عند بعض الخاصة، أو أنه في مغارة سحرية لا يفتح بابها إلا بكلمة سر من المشايخ. أو أنه كتب بلسان غير اللسان العربي، أو هو رموز وطلاسم تنتظر مهدي الكلمة في القرن الحادي والعشرين حتى يجلي غموضها.

(١) سورة الحجر الآية ٩.

(٢) سورة فصلت الآيات ٤١-٤٢.

(٣) سورة البقرة الآية ٢.

يريد أدلة صريحة واضحة على ربوبية الظهورات السبعة، لن يقبل بستة؛ إنه طموح من ينشد الكمال في دينه!

يريد أن يرى في القرآن ذكر (هابيل وشيث ويوسف ويوشع وآصف وشمعون وعلي)، وأن ينطق القرآن بربوبيتهم جهرة بلا حاجة لأي تأويل حتى تقوم الحجة على المسلمين في الصين وروسيا وغيرها، ويعرفوا الفرقة المحقة بعد إنكار!

أي شرف باذخ؟ وأي مجد أثيل سيتحقق على يد السائل إن أفلح الشيخ في استخراج تلك الأدلة والشواهد، فيفتح أعيناً عمياً عن الحق لا تبصره، وكفى بعدها صراعاً ولجاجاً حيث قطعت جهيزة قول كل خطيب.

ولكن، كما ورد في نهج البلاغة: (الأماني تعمي أعين البصائر)[1]. فقد علم كل من استعرض آيات القرآن ولو مرة واحدة أنه لم يذكر من تلك الأسماء إلا اسم النبي (يوسف)، يذكره عبداً لله وهو يدعو ويقول: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[2].

قال الشيخ في جوابه على السؤال:

١ -(إن طلب السائل غير ممكن؛ لأننا في هذه الحالة نلغي وجود الباطن، وهو للخواص، وليس للعموم).

طبعاً الشيخ يقصد بالخواص من وُلد في الطائفة من الذكور كما أشرت سابقاً، وكأن الله ظهر لهم فقط، وكأنه يستحيي من الحق. تعالى عما يقولون.

٢ - أكد الشيخ مع ذلك وجود تلميحات لهذه الربوبية في القرآن، مع أن السائل لم يرد الحديث عن مجرد تلميحات، وطلب أدلة نصية صريحة لا تعتمد استدلالاً واستنتاجاً.

---

(١) قصار الحكم ٢٧٥.

(٢) سورة يوسف الآية ١٠١.

وبرر الشيخ وجود التلميح دون التصريح بأن العرب لا تحتمل ذلك!

ومن الذي لمح هذا التلميح؟

من التلميحات التي ساقها كأمثلة من القرآن واعتبرها إشارة إلى ربوبية الإمام علي:

التلميح الأول:

قوله تعالى: ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾[1].

وقال: هذا دليل على التجلي الإلهي في علي!

وناقش الآية من جهة اللغة، ومن جهة سبب النزول

قال في المناقشة اللغوية: (إن «سمع» صيغة إخبارية، ولا يمكن أن يطلق على ذات الباري وصف بأسلوب خبري؛ فالذي «سمع» يمكن ألا يسمع في ظرف آخر). أضاف: (كذلك كيف يمكن أن يصف عاقل منهم ذات الله بالفقر مادياً أم معنوياً؟).

وفي حل للإشكال الذي توهمه نقل رواية تقول: إن الأول والثاني والثالث قالوا عندما خطب علي فاطمة: كيف يزوج الرسول فاطمة لعلي وهو فقير ونحن أغنياء.. وكان علي قريباً منهم فسمع قولهم).

أقول:

أولاً: إن صيغة «سمع» التي منع الشيخ صحة إطلاقها على ذات الباري، وادعى ما ادعاه من أن من يسمع في ظرف قد لا يسمع في ظرف آخر.. الخ. أقول:

هذا الكلام يصح في المخلوقين؛ أما الله تعالى فلا تؤثر فيه الظروف حتى تقول: من سمع في ظرف قد لا يسمع في آخر. إن الله سمع ويسمع، وما زال

(١) سورة آل عمران الآية ٧٤.

سميعاً بصيراً، وعندما عدد النبي ﷺ أسماء الله الحسنى ذكر منها (السميع..).

وهل لهذا الكلام الذي جاء به الكاتب أي معنى مفهوم: (سمع صيغة إخبارية لا يمكن إطلاقها على ذات الباري)؟

هل سمع فقط صيغة إخبارية، أم كل الأفعال؟

يعني قوله تعالى: ﴿عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾[1].

أليس «علم» صيغة إخبارية؟ وبالتالي لا يجوز برأيك أن نطلقها على ذات الله؛ لأن من علم في ظرف قد لا يعلم في ظرف آخر!

وهكذا كل الأفعال التي وردت يمكن أن نحشرها تحت هذا التصنيف المزيف (صيغة إخبارية.. الخ)، مثل: وجد - غضب - سخط - رأى - كتب - أنزل- أخرج - أرسل - بعث- جمع..) وكلها يمكن أن تقول فيها ما قلته في «سمع».

وإذا تكلمنا في قواعد العربية، فكل فعل ماض هو صيغة إخبارية، وكل فعل مضارع هو صيغة إخبارية بالعموم، إلا أن يقترن الفعل بأدوات محددة يخرج معها إلى صيغة إنشائية، مثل: (ألا ترى) أو يعطي معنى الدعاء مثل: (قاتلهم الله) وسوى ذلك من استثناءات محددة.

أما قوله: كيف يمكن أن يصف عاقل منهم ذات الباري بالفقر..؟ فأجيبه: من تقصد بـ (عاقل منهم)؟ إذا كنت تقصد الرواية التي أوردتها، فالجماعة لم يقصدوا ذات الباري - على فرض صحتها- وإنما كانوا يتحدثون عن علي بن أبي طالب. وفي حال سلمنا بما تقول من سبب نزول الآية؛ فإن هذا يعتبر تصريحاً بألوهية علي وليس تلميحاً كما قلت؛ فالجماعة قالوا: (علي فقير) فنزلت أنهم قالوا: (الله فقير). وعلي هو الظاهر، والقرآن أكد أن هذا

(١) سورة البقرة الآية ١٨٧.

الظاهر هو الله! أليس هذا تناقضاً مع طروحاتكم في أن: (من قال إن علياً الظاهر هو الله فقد كفر)؟ لأنهم قصدوا الظاهر، وليس (الغيب المنيع) أو (الجزء الأصم).

لكن الشيخ أغفل قصداً ذكر تتمة الآية؛ لأنها ستهدم ما بناه أولاً. الآية تتحدث عن اليهود، والتتمة: ﴿سَنَكْتُبُ ما قالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ..﴾[1].

ثانياً:

لو افترضنا أن فلاناً قال في علي إنه فقير، فما المشكلة؟ وما الذنب والمؤاخذة في هذا القول؟ ولم يعد الحقيقة في شيء

كلنا نقول إنه كان فقيراً، والنبي ﷺ علم ذلك، وعلي نفسه أكد أنه فقير في أكثر من موضع ومناسبة. فمن ذلك: (والله لقد رَقَّعْتُ مِدْرَعتي هذه حتى استحييتُ من راقعها ولقد قال لي قائل ألا تنبذها عنك..)[2].

ومن ذلك قوله وقد سأله بعضهم عن ثوبه المتهرئ المرقوع فقال: (يخشع له القلب وتذل به النفس ويقتدي به المؤمنون)[3].

التلميح الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ﴾[4].

قال: الصديق والعدو يعرفون أن الذي أنزلهم هو علي في غزوة خيبر.

أقول:

ليس هنا تلميح كما تصورت، وليس الأمر في علي كما ذهبت. فالمنزل الحقيقي لهم هو الله تعالى، وعلي واسطة هذا الإنزال وأداته، ومثل هذا التعبير

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٨١.

(٢) نهج البلاغة/ الخطبة ١٦٠.

(٣) نهج البلاغة/قصار الحكم ١٠٣.

(٤) سورة الأحزاب الآية ٢٦.

المجازي كثير في القرآن، وفي اللسان العربي، وفي غيره. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[1]. ليس فيه تلميح إلى أن ملك الموت هو الله تعالى؛ لأنه هو الذي يتولى التوفي: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾[2].

أو الملائكة عامة: ﴿.. تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾[3]. ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾[4]. فالمتوفي الحقيقي هو الله، والملائكة أدواته الأمر الإلهي.

وعندما يقول سبحانه: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾[5]. فهناك واسطة الإنزال وهو جبريل. ففي مجاز اللغة ينسب الفعل إلى من أمر به ومن كان السبب أو المسبب، كأن نقول: بنى الأمير القلعة، وهو لم يمسك حجراً بيده، ولكنه الآمر.

كذلك إنزال أهل الكتاب من صياصيهم وإخراجهم منها تم بمشاركة عدد من المؤمنين، ولم يتول علي ذلك وحده، فهل سنقول بربوبية كل من شارك؟

وبعد أن اعترف الشيخ في بداية جوابه أن إثبات ربوبية أي واحد من الظهورات السبعة من القرآن غير ممكن، لجأ إلى ما يسميه سنة نبويّة، واستعان بقصائد الشعر، والألفاظ المشتركة والمصطلحات المتشابهة وكتب الغالين التي ينسب أصحابها أنفسهم إلى الشيعة، مثل كتاب البرسي: (مشارق أنوار اليقين)!

فماذا بعد القرآن غير الضلال أيها الشيخ؟

هل ترى القرآن يهمل هذه القضية التي هي رأس كل توحيد لو صحت، حتى يتركك تتلمس أدلتها من الشعراء الغاوين كما يقول القرآن الكريم: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾[6].

---

(١) سورة الزمر الآية ٤٢.
(٢) سورة السجدة الآية ١١.
(٣) سورة النحل الآيتان ٢٨و٣٢.
(٤) سورة الأنعام الآية ٦١.
(٥) سورة آل عمران الآية ٣.
(٦) سورة الشعراء الآية ٢٢٤.

وبعد الأدلة التي أوردها من كتب القوم وأشعارهم على ربوبية علي، ربما يتوهم أنه قد أرسى قواعد التوحيد لدى بعض الأتباع، ولكن لا بد من أن يلاحظ ما يلي:

١ - اعترافه بأنه ليس في القرآن أي آية تذكر ظهوراً واحداً، فهل يعبد الله بالاستنتاج والتلميح؟

إن القرآن الكريم فَصَّلَ في مسائل وقضايا وجزئيات من الحياة، فذكر مثلاً أحكام الصيد في الحج، فقال فيه: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾[1].

أتراه يهتم بعصفور صغير يصيده المحرم، ثم يتهدد من يعود لذلك بالانتقام، ومع ذلك لا يذكر شيئاً عما يريده من ظهوراته؟!

٢- بعد أن جاء بعدة شواهد من كتب مشبوهة، أورد قصيدة لشاعر لم يذكر اسمه يقول في قصيدته إن وجه علي (نسخة اللاهوت)، ووصل من ذلك إلى نتيجة وهي: أن الغلو عند هؤلاء الشيعة أعظم من غلو الخصيبية؛ لأنهم يقولون إن علياً هو (الوجه اللاهوتي) بينما الخصيبية يقولون إنه (الوجه الناسوتي)!

لقد كان من العدل أن تقارن هذا الكلام المنسوب للخصيبي وهو مؤسس الطريقة عندكم -كما تقولون- بكلام من يماثله في المرجعية عند الشيعة الإمامية، ليصح العرض والمقارنة، أما أن تقارن كلاماً منسوباً لشخص لم يدقق أحد بنسبته لصاحبه بكلام شاعر مجهول لم يكن مرجعاً لغير نفسه فهذا من الإفلاس والعجز. بل لو صح قول هذا وذاك وثبت عند الشيعة أجمعين لما كان يغني من الحق شيئاً، وقد تحدث الإمام (الأصيل) عن نفسه بما يغني عن سؤال (الدخيل).

---

(١) سورة المائدة الآية ٩٥.

٣- قال: إن الخصيبيين لا يقولون برؤية الله؛ لأنه ليس له هيئة (فإذا أراد الظهور يظهر بصورة الذين يظهر لهم كماهية مادية، وليس كجوهر قدسي.. وبذلك لا تكون الصورة له سبحانه).

أقول:

أولاً: هل يوافق الخصيبي ومن ورث علمه على هذا القول؟

لا أعتقد؛ لأنهم يؤكدون أن لله صورة، وأنه حين ظهر بعلي بن أبي طالب الأجلح البطين.. ظهر بذاته، ولم يظهر بأحد من خلقه، وأن هذه الصورة بتلك الصفات هي صورة الباري القديمة غير المخلوقة. كل هذا جاء صريحاً في الرستباشية وغيرها، وأكدوا أن من لا صورة له يوشك أن يكون عدماً.

ثانياً: سيعود الشيخ في الصفحة / ١٠١ لينقض ما قاله هنا، ويؤكد أن الباري له صورة، وأورد حديث: (إن الله خلق آدم على مثال صورته)!

٤- أخيراً نقول للشيخ: لو كان السؤال معكوساً، أي: هل في القرآن الكريم شواهد على بشرية هابيل مثلاً، وهو أول الظهورات الذاتية، أو يوسف، أو حتى علي – إن كنا سنعتمد أسباب النزول- أو بقية الأنبياء؛ لكان الجواب: نعم، بكل تأكيد.ولكان المجال رحباً لذكر مئات الشواهد الصريحة الواضحة على ذلك، ولما اضطر صاحبنا للاستعانة بالكتب المشبوهة وقصائد الشعر.

ولا ضير هنا من إيراد بعض الأدلة – على كثرتها- كرد على مزاعم الربوبية للبشر تحت عنوان فلسفة الظهور والإظهار!

ومع ذلك، فأنا على ثقة من علم وتجربة أن هؤلاء لا يهتمون بالشواهد الصريحة؛ لأنهم رضعوا حليب التأويل الفوضوي منذ اليفاع، هذا التأويل الذي يجعل من ظاهر الحوادث لهواً ولعباً ومسرحاً مزيفاً.

١- هابيل (وإن لم يذكر بالاسم في القرآن) قصته مع أخيه معروفة في تقريب القربان الذي تقبل منه ولم يتقبل من أخيه، فتهدده هذا بالقتل، فأجابه: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ما أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ..﴾[1]. وأكد القرآن وقوع جريمة القتل: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ..﴾[2].

هذا هو (هابيل) ابن آدم في القرآن، فأين مظاهر الألوهية والربوبية فيه؟ يقرب القربان – يتقبل الله منه – يقتله أخوه –يدفنه في التراب- له سوأة ذكرت في السياق.. الخ.

٢- يوسف: ذُكر في القرآن ستاً وعشرين مرة، جاء منها في سورة يوسف أربعاً وعشرين، وفي الأنعام مرة، وغافر مرة.

ولا شك أنهم مع يوسف يتشبثون بأكثر من آية تدل برأيهم على ربوبيته و(معنويته). وتفصيل الحديث في ذلك في الجزء الثاني من الكتاب، الذي يتضمن ملاحظات على الرستباشية. وأكتفي بالقول هنا: إن يوسف الذي دعا ربه أن يصرف عنه كيد (النسوة) ليس إلا رجلاً يسري في دمه هرمون الذكورة كما هو شأن سائر الرجال، وهو يشعر نحو المرأة بما يشعر به أي ذكر آخر سوي الخلقة مكتمل الرجولة، ولكن الذي يصنع الفرق هو التقوى. والذي يقول لربه في آخر السورة: ((توفني مسلماً))، هو مخلوق فان، وليس إلهاً.

بشرية الأنبياء لكونهم الأسوة والقدوة:

الأنبياء أكدوا لأقوامهم أنهم بشر: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[3]. فهذه الإضافة بعد (بشر) وهي كلمة (مثلكم)، تؤكد انطباق خضوعهم لكل لوازم وحاجات هذا الجسم البشري.

(١) سورة المائدة الآية ٢٨.
(٢) سورة المائدة الآية ٣٠.
(٣) سورة فصلت الآية ٦ – سورة الكهف الآية ١١٠.

وقوله تعالى: ﴿سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً﴾[1].

وكذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2]. فقوله: ﴿أُسْوَةٌ﴾ يؤكد أنه بشر يعاني ويكابد حقيقة مثلما يعاني ويكابد قومه كما مر على لسان قومه وهم يتكلمون عنه كما في قوله تعالى: ﴿ما هذا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾[3] ولذلك نرى أن الإمام علي عليه السلام يحصر التبليغ عن الله في جنس البشر فيقول: وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء إلا البشر[4].

ثم أمرنا قائلاً: واقتدوا بِهَدْيِ نبيكم واستنو بسنته[5].

وقال: ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كافٍ لك في الأسوة[6].

ثم أمرنا في مقام آخر وهو يقول: فتأس بنبيك الأطهر فإن فيه أُسوة لمن تأسى وعزاء لمن تعزى وأحب العباد إلى الله المتأسي بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمقتص لأثره[7].

وفي كلام العرب أن الأُسوة والإسوة: القدوة، ويقال: ائتس بالشيء أي اقتدِ به وكن مثله، وعن الليث فلان يأتسي بفلان: أي يرضى لنفسه ما رضيه ويقتدي به وكان في مثل حاله، والقوم أسوة في هذا الأمر أي حالهم فيه واحدة[8].

لأنه لا يجوز إطلاق لفظة (أسوة) إلا مع وحدة الجنس، فالملائكة ليست أسوة للبشر، ولا الجن؛ لاختلاف الجنس.

---

(١) سورة الإسراء الآية ٩٣.
(٢) سورة الأحزاب الآية ٢١.
(٣) سورة المؤمنون الآية ٣٣.
(٤) نهج البلاغة قسم الخطب ص٣١ الخطبة ٢٠.
(٥) نهج البلاغة الخطبة ١٠٩ ص١٤٩.
(٦) نهج البلاغة الخطبة ١٥٩ ص٢١٦.
(٧) نهج البلاغة الخطبة ١٥٩ ص٢١٧.
(٨) لسان العرب ج١ مادة أسا ص١١٨.

ولو كانت الأسوة مجرد (إظهار)، فلا يكون لها معنى. ألا ترى أن الممثل الغني المترف لن يكون أسوة للفقراء الصابرين إذا هو تقمص في تمثيله دور الفقير الصابر؟ لأنه سيعود بعد انتهاء مشاهد التصوير إلى حياته الحقيقية التي ينعم فيها بما يشتهي من الدنيا.

وهل وجدت في القرآن كله آية واحدة تقول إن الأنبياء كانوا (يظهرون) عملاً ما؟ هل قال تعالى: (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كانا (يظهران) أَكْلَ الطَّعام)؟ بل قال: ﴿كانا يَأْكُلانِ الطَّعامَ﴾[1].

هل قال القرآن إن النبي (أظهر) اتخاذ الزوجات؟ أم قال النبي ذلك عن نفسه؟

هل قال إنه (غاب) كما تعبرون عن موته؟ أم قال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾[2]؟

لن نستفيض أكثر، فالدلائل والشواهد يضيق عنها الكتاب.

السؤال الرابع والعشرين:

تحقيق التراث وفائدته:

يسأل السائل عن اختلاف نسخ الرستباشية.

الشيخ يدعو في جوابه إلى التوسع في تحقيق مخطوطات التراث الخاص لأتباع الطريقة الخصيبية، ويسوق أمثلة على كتب تم تحقيقها، منها كتاب: (الهداية الكبرى)، ومجموع الأعياد، وديوان المكزون، وديوان المنتجب وديوان الشيخ الخصيبي وشرح الديوان... وغيرهم.

أقول:

بالنسبة لكتاب الهداية الكبرى تم تحقيقه فعلاً من قبل الشيخ شوقي الحداد، ولي ملاحظات على منهج التحقيق.

---

(١) سورة المائدة الآية ٧٥.

(٢) سورة الزمر الآية ٣٠.

أما الدراسة عن المكزون التي قدمها حامد حسن فليست تحقيقاً، وكذلك دراسة الدكتور أسعد علي؛ لأنه طبع ديوان المكزون في المجلد الثاني خلواً من الشرح والتعليق، كما حذف كثيراً من الشعر الذي له خصوصية عند الطائفة. أما بقية الكتب التي ذكرها فليست بحوزتي.

وهكذا تحقيق ديوان الشيخ الخصيبي كان عبارة عن مقارنة بعض المخطوطات على بعضها وشرح الكلمات الصعبة في الديوان.

بعض الملاحظات على تحقيق كتاب (الهداية الكبرى):

يتبع كثير من المحققين منهج عدم التدخل في منهج تقويم النص من حيث المخالفة الشرعية أو العلمية أو غير ذلك، ويقصرون عملهم على مقابلة النسخ وترجيح الأصوب. والشيخ شوقي لم يتبع أياً من المنهجين بشكل دقيق، فهو يتدخل في التعليق على النص أحياناً، ويتجاهله أحياناً أخرى.

أولاً - أمثلة مما ترك التعليق عليه:

١- في ص / ٣٢٠ الجرّي يقول لأمير المؤمنين إن الإناث منها تحيض، والإمام يقول له: صدقت أيها الجري.

هذا الحديث موضوع؛ بدلالة مخالفته العلمية، فلا أحد من إناث الحيوان يحيض إلا المرأة والقردة.

٢- في ص / ٢٠٤ رواية عن أبي جعفر، جاء فيها أن ثمانين من الطلقاء آمنوا تحت القتل يوم فتح مكة.

هذا مخالف للواقع أيضاً، فالنبي ﷺ لم يرهب أحداً منهم، ولم يكرههم على الإسلام؛ فـ ﴿لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ﴾[1]. وهل يقرأ مسلم آية

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٦.

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً﴾[1]. التي تتحدث عن يوم فتح مكة بضم الياء في ((يدخلون)) أم بفَتحها؟

٣- في ص / ٥٤٩ أن النبي صلى الله عليه وآله أحيا عمه أبا طالب لينطق الشهادتين ثم يعود ميتاً.

هذا من الموضوع، وهو يؤكد فرية أن أبا طالب مات على غير الإسلام. ومن جهة أخرى يخالف الحديث مبدأً أساسياً في الشريعة، وهو طي كتاب عمل الإنسان بعد موته.

٤- في ص / ٢٧٢ أن أمير المؤمنين حول رجلاً إلى كلب لمجرد أنه سبقه بالقول.

لم يؤثر عن الإمام علي عليه السلام هذه القسوة غير المبررة، وكانوا يشتمونه، فيحض على العفو حتى عن قاتله.

٥- في ص/ ٢٤٩ أن الخمر كانت حلالاً في سائر الشرائع، وفي شريعة محمد صلى الله عليه وآله.

هذا مخالف للنقل والعقل. والخمر بما هي متضمنة للمسكر كانت وستبقى حراماً، كما هو شأن الخبائث.

٦- في ص / ٢٤٧ أن النبي صلى الله عليه وآله أهدر دم من أفطر يوماً في رمضان.

هذا أيضاً ما لا أصل له في الشريعة السمحة، ولم يقل أحد بقتل إنسان على إفطار يوم – ولا شهر- من رمضان؛ اللهم إلا ما أنتجه الفكر المتطرف، كما في (مجموع الفتاوى) لابن تيمية من أنه يستتاب وإلا قتل!

٧- في ص/ ٤٤٤: الإمام الباقر يكره العصافير؛ لأنها من (عمر)، وتتولاه. أما القنابر فهي شيعة لأهل البيت عليهم السلام!!

---

(١) سورة النصر الآية ٢.

الأمانة العلمية تقتضي تسجيل مثل هذا السخف، ولكن يجب مع ذلك إعلان الموقف تبرئة للذمة.

٨- في ص/ ٦٩٦ أن الإمام علياً سيقتل الأكراد والأرمن في رجعته!

نعوذ بالله من نسبة الظلم إلى الإمام علي عليه السلام، والعرقية إلى الإسلام.

ثانياً: أمثلة مما تدخل فيها المحقق بالتعليق أو التصويب:

١- ص / ٧٠٦: نزول الرب من سماء إلى سماء.

٢- ص/ ٥٨٥: ادعاء فريضة صلاة الليل.

٣- ص/ : دعوى أن «أم أيمن» من أزواج النبي صلى الله عليه وآله.

٤- ص/ ٢١٩: حديث هجرة أبي بكر مع النبي صلى الله عليه وآله، ودعوى إراءة النبي صلى الله عليه وآله له خديجة.

٥- ص/ ٢٤٧: سكرة أبي بكر، وشعره أثناء السكر.

٦- ص/ ٣٥٢: دعوى حِلِّية الخمر في الزبور.

٧- ص/ ٣٩٠: دعوى إلقاء شبه الإمام الحسين عليه السلام على حنظلة الشبامي، وشبه رشدة بن سنان على العباس.

السؤال الخامس والعشرين:

عالمية الرسالة الإسلامية وتكاملها:

قال السائل: إن رسول الإسلام أُرسل للناس كافة، واكتمل الدين عندما بلّغ النبي صلى الله عليه وآله الرسالة. فلماذا لم يُبَلِّغ الباطن؟

أضاف في كلام مهم: (لو كان الظاهر لأهل الظاهر، والباطن لأهل الباطن لبطلت الآية الكريمة التي تقول: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ..﴾.. وقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

﴿دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[1]. إنها شريعة كاملة ونعمة تامة. بينما عدم تبليغ الباطن ينقص الآية وينقضها).

جواب الشيخ لم يكن على مستوى السؤال كما أرى، حيث جاء في أوله: (مهمة الأنبياء وخاصة سيدنا محمد ﷺ هي تبليغ ظاهر الشريعة صراحة، ويلمح للباطن تلميحاً بقدر يتمكن فيه من سحبه للظاهر ليس إلا.. وكان الجانب الباطني محصوراً تقريباً بالإمامة..) وقال: (الباطن موجود في القرآن والسنة.. ويُلْزِمها الشارع بالتلميح فقط لغير الخاصة). ثم ساق أدلة نقلية على وجود علم الباطن.

وأريد أن أسأل قبل مناقشة ما أورده: هل هو فعلاً مقتنع بأن التلميح هو من شرع الله تعالى؟ خاصة إن كان ما وراءه يوجب جنة وناراً ونعيماً وشقاء. وما هذا التلميح الذي لا يلمحه إلا أهل طائفة معينة؟ فهل هم إذاً تلك الفرقة الناجية لأنها لمحت ما لم يلمح غيرها؟ وسحبت من باطن القرآن إلى ظاهره ما قعد عنه الآخرون؟ وهل تقوم الحجة لله على الناس بالتلميحات؟ نعيد السؤال مرة بعد مرة: لماذا كل هذا التعقيد واللف والدوران في مسائل مصيرية لا بد لقيام الحجة فيها من التصريح بأبلغ وأوضح عبارة.

وفي عرضه للمصطلحين خلط بين الباطن والتأويل وساواهما في المعنى. والحق أنهما اسمان لمعنيين مختلفين، ولو جربت أن تضع كلمة الباطن مكان كلمة تأويل في القرآن لما صحت، فقوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[2]. لا يصح فيها القول: ظاهرة ومؤولة. وكذلك نهيه في قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[3]، لا يصح أن يكون المعنى المرادف: ما ظهر وما تأول، أو ظاهر الفواحش وتأويلها.. وهكذا. ولو صح

---

(١) سورة المائدة الآية ٣.

(٢) سورة لقمان الآية ٢٠.

(٣) سورة الأعراف الآية ٣٣.

هذا لكان نقضاً لفلسفة الطريقة، فكيف ينهى عن تأويل أو مآل أمر وهو لم يُصَرِّح به؟

الفرق بين الباطن والمتشابه والتأويل:

الباطن: ما خفي عن النظر لعلة ما، فقوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾، يدل على أن هناك نِعَماً مُدْركة بالحس والعيان والمعرفة الأولية، كنعمة الصحة والعافية وما ماثلها من نعم مادية. وهناك نِعَمٌ تُدْرَكُ بالتأمل ونظر الفكر، ويكشف منها العالم ما خفي عن غيره، لذلك تعال معي أخي القارئ لنقرأ كلام الإمام عليعليه السلام عن رسول اللهصلى الله عليه وآله حيث يقول:

ولقد كان في رسول اللهصلى الله عليه وآله ما يدلك على مساوئ الدنيا وعيوبها، إذ جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته، فلينظر ناظر بعقله أأكرم الله محمداً بذلك أم أهانه؟ -وهنا موضع الشاهد- النظر بعين البصيرة...

ثم يقول الإمامعليه السلام: فإن قال: أهانه، فقد كذب والله العظيم وأتى بالإفك العظيم.

وإن قال: أكرمه، فمن يعلم أن الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له وزواها عن أقرب الناس منه فتأسى متأسٍ بنبيه واقتص أثره وولج مولجه[1].

التأويل: مصير الشيء إلى نهايته (تأويل الأحاديث)، ومنه: آل فلان، وهم من ينتهي أمره إليهم. وكل ما ذكر في القرآن من تأويل فإن له تحققاً في الدنيا ما عدا تأويل القرآن؛ فإن تحققه في الآخرة: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ..﴾[2]. ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾[3].

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٥٩ ص٢١٨-٢١٩.

(٢) سورة الأعراف الآية ٥٣.

(٣) سورة يونس الآية ٣٩.

المتشابه: ما ازدحم فيه أكثر من معنى (تشابه) على جاهله. وللمفسرين كلام كثير حول ذلك، بعضه واضح البطلان؛ كقولهم: إن المحكم هو الناسخ، والمتشابه هو المنسوخ. فهذا التفسير يخرج أكثر آيات القرآن من دائرة المحكم والمتشابه،

وينقض معنى قوله تعالى: ﴿..مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، أي أصله ومعظمه؛ لأن الناسخ والمنسوخ ليس أكثر القرآن. هذا بالإضافة إلى وجود رأي بأنه لا منسوخ في القرآن بمعنى ثبات نص آية وبطلان حكمها. وحتى في حال التسليم بذلك، فهناك خلاف كبير حول تحديد الناسخ والمنسوخ، وهكذا يدخل في دائرة (زيغ القلب) كل من اختلف مع غيره في ناسخ أو منسوخ. ووفق بعض الكتب التي أُلِّفت في ذلك؛ فإن آية: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] منسوخة بآية السيف أو القتال، وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ..﴾[2] منسوخ بآية السيف[3]!!

فمن يصبر على المخالفين ويجادلهم بالتي هي أحسن فهذا في قلبه زيغ، وفق ذلك التصنيف والعياذ بالله!

أدلته على علم الباطن (بمعنى التأويل) في القرآن:

[١]- قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ.. الخ﴾[4].

أقول:

أولاً: إن الآيات تذم هؤلاء الذين يتبعون المتشابه من القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء التأويل، وذكرت أن ذلك من علامات زيغ القلب. وقد اعترف الشيخ بما نقل عن الميزان أن المتشابه: (تؤمن به ولا تعمل به).

---

(١) سورة النحل الآية ١٢٥.

(٢) سورة النحل الآية ١٢٧.

(٣) الناسخ والمنسوخ للمقري - ت ٤١٠هـ.

(٤) سورة آل عمران الآية ٧.

ثانياً: نقل عن تفسير الميزان أن الراسخين في العلم هم آل محمد ﷺ، وهم يعلمون تأويل القرآن.

هنا أحيله إلى ما جاء في (حجة العارف) لابن شعبة الحراني، حيث أورد الآية الكريمة: ﴿وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ﴾. ثم قال: ههنا وقفٌ –أي نهاية جملة –ثم يبدأ كلام جديد مستأنف: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا﴾. فالراسخون لا يعلمون التأويل ولكن إيمانهم به علامة رسوخهم في العلم.

أيضاً أحيله إلى ما جاء في نهج البلاغة من تأكيد الإمام أنهم لا يعلمون التأويل بقوله: (واعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السُدَدِ المضروبة دون الغيوب الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً..)[1]

هذا مع أن الشيخ يعترف في الصفحة / ١٠٢ أن ظاهر الآية أنه لا يعلم التأويل إلا الله، وأن الواو استئنافية!! ثم ينقلب مرة أخرى ليقول بعدها إن آل محمد ﷺ يعلمون التأويل..!!

ثالثاً: من حيث الدلالة اللغوية: لو كان الكلام موصولاً دون وقف، أي لو كانت الواو في قوله (والراسخون) عاطفة، لكان معنى الكلام بعدها (يقولون..) أن الله تعالى والراسخين في العلم يقولون آمنا به. أي يكون تعالى من جملة القائلين بذلك، وهذا لا يصح.

رابعاً: تأويل القرآن لن يكون في الدنيا؛ بل هو من شؤون الآخرة: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ..﴾. ومعنى التأويل تحقق ما أخبر به القرآن بالمآل (وهذا أصل التأويل) من وعد ووعيد، وجنة ونار وغير ذلك.

---

(١) نهج البلاغة/الخطبة١٩.

وذكر الإمام في النهج أنه يقاتل بعض أهل القبلة لما أدخلوه من التأويل في الإسلام: (إنما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج، والشبهة والتأويل)[1].

ووصف معاوية في أحد كتبه بقوله: (فغدوت على الدنيا بتأويل القرآن)[2].

فكل هذا يثبت أن لا تأويل للقرآن في الدنيا، وأنه شيء من مختصات الله سبحانه، وأن غاية تكليفنا أن نفهم معاني القرآن باللسان العربي الذي نزل به.

إن فهم معاني اللغة ودلالاتها يعتمد على ظاهر اللفظ، وعلى العلم بخصائص اللسان العربي، وما يؤدى به المعنى عن طريق المجاز والكنايات، ومعرفة مواضع الحذف والزيادة، ولم حذف هنا وزيد هناك.. وهذا الفقه اللغوي مدخل لا بد منه لفقه القرآن نفسه.

[٢] - دليله الثاني على علم الباطن قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾[3].

تساءل هنا معترضاً على تفسير علم الظاهر: (يقول التفسير إن الدهن والصبغ هو الزيتون.. لكنه قال الدهن ولم يذكر زيت الزيتون. فكيف يصف الزيت مرة بالدهن ومرة بالصبغ؟ ولماذا يصرح بالزيتون بقوله: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾[4]؟ وهنا يكني بغيره.

أقول:

١ - إن اختلاف الصيغ والألفاظ في التعبير عن الشيء الواحد هو علم من علوم البلاغة في اللغة، وهو ما يسمى أحياناً (غرائب القرآن)، أي: دقائقه التي ينالها أهل النظر والتدبر، وهي على كل حال ليست من تكليف المسلم الذي

---

(١) نهج البلاغة. الخطبة ١٢٢.

(٢) نهج البلاغة. الكتاب ٥٥.

(٣) سورة المؤمنون الآية ٢٠.

(٤) سورة التين الآية ١.

يُسأل عنه، ولكنها حسنة أو درجة في العلم يزداد بها تثبتاً في الإيمان وثقة بمعجز القرآن من ذلك اختلاف التعبير عن سفينة نوح؛ ففي سورة العنكبوت سماها ﴿السَّفِينَةِ﴾[1]. وفي ثماني آيات أخرى سماها ﴿الْفُلْك﴾[2].

وفي سورة القمر لم يسمها، بل كنى عنها بشيء من صفتها: ﴿ذاتِ أَلْواحٍ وَدُسُرٍ﴾[3].

وذكر اسم النبي ﴿يُونُسَ﴾[4] في آية، وفي آية أخرى ﴿ذَا النُّونِ﴾[5].

وقال في خطاب مريم في آية: ﴿فَاقْذِفِيهِ﴾[6]، وفي أخرى: ﴿فَأَلْقِيهِ﴾[7].

وعلى لسان النبي زكريا في آية: ﴿بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ..﴾[8]، وفي أخرى: ﴿بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾[9]. ومثل هذا كثير.

٢- تساءل كيف يصف الزيت مرة بالدهن ومرة بالصبغ؟

أقول: هو استعمال الظاهر والباطن - بالمعنى اللغوي -؛ أي استعمال بالدهن (للجلد)، واستعمال بالأكل (صبغ). وبالتأمل في قوله تعالى: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ﴾، نرى أنه عرف الدهن، ونكر الصبغ، ولذلك فقوله (للآكلين) تعود إلى الصبغ وحده.

مناقشة دلالة آيات في معنى الباطن:

أورد الشيخ عدداً من الآيات التي ذكر فيها مصطلح الباطن، أو ما يدل عليه، وهي:

---

(١) سورة العنكبوت الآية ١٥.

(٢) سورة الأعراف الآية ٦٤.

(٣) سورة القمر الآية ١٣.

(٤) سورة الصافات الآية ١٣٩.

(٥) سورة الأنبياء الآية ٨٧.

(٦) سورة طه الآية ٣٩.

(٧) سورة القصص الآية ٧.

(٨) سورة مريم الآية ٨.

(٩) سورة آل عمران الآية ٤٠.

١ ﴿وَلا تقرَبُوا الفَواحِش ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ﴾[1]. فنحن هنا نسأله: لمن ظهرت الفاحشة؟ وعمن بطنت؟ بالتأكيد هي ظهرت للناس أو بطنت عنهم، ولكنها عند صاحبها مدركة معروفة أنها فاحشة، فهي (ظاهرة) عنده مع بطونها وخفائها عن غيره، ولو كانت باطنة عن صاحبها أيضاً لم يأت التكليف بتركها.. فسرها بما شئت، هل هي خواطر السوء؟ هل هي خطط الشر ونوازعه؟ هل هي خائنة الأعين؟ هل هي استراق السمع؟ أم كل ذلك؟

٢ - ﴿فَلا تُمارِ فِيهِمْ إلاَّ مِراءً ظاهِراً..﴾[2]. قال: هذا يعني وجود وجه لجدل باطني طلب تعالى من الرسول ﷺ عدم الخوض فيه.

أقول: قد يكون ذلك، ولكن حيث نهى نبيه ﷺ عن الخوض فيه فنحن أحق بالانتهاء، ولا نخوض في باطن أهل الكهف وترميز الكلب بفلان أو فلان..

٣- قوله تعالى: ﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ﴾[3].

حاول الشيخ أن يزرع الألغام في طريق فهم الآية فيما يتعلق بقوله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ﴾. وقال: إن أهل الظاهر لم يبحثوا المعنى بشكل واضح ومقنع.

وقال: (إن موسى لم يسمع الكلام من الشجرة، بل سمعه من جهة النور الذي جعل الشجرة مرئية من قبل موسى بإضاءتها).

وأكد هذا بالقول: (لم يجد موسى الكلام صادراً عن الشجرة حتى نقول إنها كانت حجاباً؛ لأن الكلام يقتضي رؤية المتكلم من قبل غيره بصورة مشابهة لصورته هو، فيجد شفتيه تتحركان للكلام، وهذا لم يحصل من قبل الشجرة).

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٥١.

(٢) سورة الكهف الآية ٢٢.

(٣) سورة الشورى الآية ٥١.

أضاف: (إن مولانا أمير المؤمنين قال إنه تعالى يظهر أو يتجلى لخلقه بخلقه، ولم يقل من شجرة).

قال أيضاً: (كيف يعترفون بظهوره تعالى من شجرة ولا يعترفون بظهوره من صورة تشبه الصورة البشرية وهي الحجاب مع قوله سبحانه: «إن الله خلق آدم على مثال صورته»!! (كذا أوردها).. مما يؤكد وجود صورة له سبحانه وهي مشابهة للصورة الآدمية)!

هذا ما قاله الشيخ في الفقرات السابقة، وفيه مغالطات كثيرة، وأرد بما يلي:

أولاً: يقول: متى حصل هذا التكليم؟ أقول:

في المرة الأولى عندما رأى موسى النار، وذهب ليقتبس منها، جاء التعبير هنا بـ (نودي) من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة. وفي الثانية عند ذهاب موسى للميقات في جبل الطور، جاء التعبير بـ (كلمه ربه). ولم تفصل الآية هذه من أين حصل التكليم؟ وما هو ذلك الحجاب الذي سمع من ورائه الصوت؟

وما يهمنا هو خبر القرآن أن الكلام لا يكون إلا من وراء حجاب، وهذا بحد ذاته يرد على ما توهمه الشيخ من أن الكلام بين اثنين يقتضي رؤية المتكلم من قبل غيره بصورة مشابهة لصورته وشفتيه تتحركان.. الخ.

حقيقة لا أعلم من أين جاء بهذا الاقتضاء والإلزام؟ وهو يعيش في عصر (الهاتف) و (الموبايل) وغير ذلك من وسائل اتصال وحديث متبادل دون الحاجة للرؤية أو اقتضائها.

أما المجانسة فغير متصورة هنا؛ ويمكن قبول ما جاء من تفسير في ذلك، وهو أن الله خلق صوتاً سمعه موسى من وراء حجاب، وفهم منه المراد، وقد طلب موسى رؤية ربه فمنع بقوله تعالى: ﴿لَنْ تَرانِي﴾.

هذه مشيئة الله: التكليم ممكن مع الاستثناءات المذكورة، والرؤية غير ممكنة على الإطلاق، و (لن) تنفي المستقبل مؤبداً[1].

ثانياً: ما نسبه الشيخ إلى أمير المؤمنين من قوله: (إن الله تجلى لخلقه بخلقه) مجتزأ، وما في النهج هو كما يلي: (فتجلى لهم سبحانه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من علامات التدبير.. الخ)[2]. فالتجلي هو تجلي القدرة والآيات، وليس تجلي الذات.

ثالثاً: يستغرب الشيخ كيف يعترفون بظهوره من شجرة، ولا يعترفون بظهوره من صورة بشرية.. الخ.

أقول: من هم الذين نُسِبَ إليهم الاعتراف بظهوره سبحانه من شجرة؟ وهو الذي قال لنبيه: ﴿لَنْ تَرانِي﴾.

أما ظهوره من صورة بشرية، فليس له أصل قرآني حتى يتم الاعتراف بذلك، كما توهمت الاعتراف بالظهور من الشجرة، وإن كان له جذور ففتش عنها لدى النصارى، فهم يقولون بتجسد الله في عيسى بن مريم، أو لدى اليهود الذين يُجسِّدون الله في النبي عزير...

ويبدو أن مسألة الظهور للبشر كالبشر ما زالت حتى عند أصحابها مُرْبكة في تقديمها للأتباع والعوام الذين يأخذ سعيهم في تحصيل الرزق معظم ساعات يومهم، ومع ذلك يلقون إليهم بهذه المسائل، ولن يسمح بعدها بكثير نقاش واستفهام، ولذلك ترى ما ينسب للشيخ الخصيبي في واد، ومشايخ الطائفة في واد ثالث. أما الإمام علي عليه السلام نفسه مدار الأمر في كل ذلك، فلن تجده في أي واد منها.

---

(١) كتبت في مجلة «الرسول الأعظم» مقال: «لن تراني». نظرة في الدلالة اللغوية- العدد ٢٠، وفيه تفصيل لغوي حول الآية.

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٨٢.

ويسأل الشيخ: لماذا لا يقبلون أن يكون ظهر من صورة بشرية؟

أقول: لأن الله تعالى لم يقبل ذلك، ورد طلب نبيه موسى، فهل بعد هذا تريدنا أن نعاند ونقول: ظهر بذاته في سبع قباب، وبصورته هو غير المخلوقة -كما تؤكدون-؟

فلو كانت فلسفة الظهور جائزة بأي وجه من الوجوه، لتمت في ذلك الموقف، ولكنه تعالى كَلَّمَ نبيه حيث الكلام يجب أن ينقل ويبلغ. أما الرؤية فليست من تبليغ الرسالة وأحكامها في شيء، فلا مجال للحديث عنها.

رابعاً: يجعل الشيخ قولاً جاء به من بطون الكتب من كلام الله تعالى، فيقول: قال تعالى: (إن الله خلق آدم على مثال صورته)!! وليته أشار إلى (السورة) التي أَحَبَّ أن تكون موجودة في القرآن، ولكن حبك الشيء أيها الشيخ لا يعني تحققه!

أضاف الشيخ معلقاً على (آيته): (مما يؤكد وجود صورة له سبحانه وهي مشابهة للصورة الآدمية)!

طبعاً الحديث الذي ذكره من خلق آدم موجود في بعض الصحاح، وهو مأخوذ عن أهل الكتاب وخاصة اليهود، وهو واضح البطلان، وينقضه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(١). فكيف نقول بوجود صورة له (تشبه) صورة الإنسان؟

هذه النزعة إلى التجسيم موجودة في أكثر كتب الطائفة، وإن حاولوا تزيينها باحتياطات توهموا أنها تميط عنهم التهمة؛ ففي الرستباشية نُسب القول إلى الخصيبي أنه قال: إنه تعالى: (جسم لا كالأجسام)!

ما فائدة قوله: لا كالأجسام؟ وهو يؤكد الجسمية. إذاً هو جسم، لكنه مختلف عن جميع الأجسام التي نعرفها. هذا كل ما في الأمر. تماماً كأنك تقول عن فلان: رجل لا كالرجال. فهو متفرد في ثوته وبهائه وخلقه..الخ.

---

(١) سورة الشورى الآية ١١.

وإذا قلنا: جسم لا كالأجسام، فما الذي يمنع من أن نقول: له عين لا كالأعين – أنف لا كالآناف – أذن لا كالآذان – شعر لا كالشعور.. بناء على ما طرحه الأشاعرة في أقوال أبي الحسن الأشعري.

ما الذي يبقى من تنزيه الله بعد ذلك؟

خامساً: قال في شرح فهمه للآية: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ..﴾: (شرحها في الظاهر أن التأويل بمعنى مصير الخبر في الآية الذي آل إليه يوم القيامة، وفي الباطن: اعتماد الوجه الآخر السري القائم فيما وراء التفسير الحرفي للآية. وجعله سبحانه باطنياً لكي يعرفه المجتهد فقط).

وأضاف: (إن القرآن لو صرح بالتأويل أو فعل هذا الرسول لكان سرعان ما غوى وضل معظم المسلمين، مع أننا نجد الكثيرين ممن لم يحتملوا الظاهر، فكيف الحال مع الباطن!؟).

وادعى بعد ذلك أن فهم هذه الآية على ظاهرها فيه إشكال. وقال:

(كيف لِلمُنْكِرِ أن ينسى اليوم الآخر أو ما شابهه، والرسول والمؤمنون يُذَكّرونه به في كل يوم من أيام الدنيا.. وهو لو كان هذا المشار إليه لوصفهم بالنكران وليس بالنسيان. لذلك يتوجب الوجه الباطني وليس الظاهري).

أقول:

١ – أتحفنا الشيخ هنا بمعنيين للتأويل: ظاهر التأويل، وباطن التأويل. وباعتباره يعتبر التأويل والباطن واحداً، يصبح المعنى: ظاهر الباطن، وباطن الباطن!

أما المعنى الأول – وهو مصير الخبر إلى مآله يوم القيامة – فهو المتبادر إلى الفهم من لغة الآية وسياقها.

وأما الثاني -الوجه الآخر السري- فقد ألحقه بمعنى الآية رغم أنف اللغة والسياق.

وكيف يمكن أن تشرح لتلميذ وثق بعلمك معنى الآية وفق هذا المعنى فتقول: يوم يأتي الوجه الآخر السري يقول الذين نسوه..

فإذا كان هذا الوجه سرياً، ولم يصرح به الرسول باعترافك، فلماذا يشعر هؤلاء بالندم يوم القيامة، ويؤكدون أن الرسل جاءت بالحق، ويتمنون العودة إلى الدنيا ليؤمنوا ويفوزوا؟ ألا تعتقد أن الحجة ستكون معهم؟ وسيقولون إننا لم نبلغ بهذا، وما بلَّغنا النبي إلا الظاهر. فهل هذه عدالة موازين القسط؟

٢- قال: إن الرسول لو صرح بالباطن لضل الناس أكثرهم!

لماذا؟ لا أعلم. فهل هذا الباطن يخالف الفطرة والمنطق والذوق، وهل الذين حملوا هذا الباطن وتلقوه بالتسليم والإيمان هم طائفة محددة فيها الملك المقرب والنبي المرسل والعبد الذي امتحن الله قلبه للإيمان؟

هذا الاعتذار غير مقبول؛ فالله لا يستحيي من الحق، وقد أمر رسوله بالبلاغ المبين. وفي النهاية لن تقوم الحجة إلا بهذا البلاغ.

٣- قال: إنه وجد الكثيرين ممن لم يحتملوا الظاهر، فكيف الحال مع الباطن؟

أقول: من هم هؤلاء الذين لم يحتملوا الظاهر؟ أليس أكثرهم من أبنائنا وبناتنا الذين لم نعرفهم بأحكام الشريعة الإسلامية وتركناهم ليعيشوا مع الفراغ والتكفير وردة الفعل على الدين وذلك لأن الباطن عندهم أخف وطأة، وأقل تكليفاً، وآمن مخبأ.

أما سمعت بالتهرب الضريبي؟!

فهذا الباطن هو موئل المتهربين من دفع ضرائب وتكاليف الشريعة الإسلامية الظاهرة التي تنظم حياة المجتمع وتمنع الفوضى وتقيم الحدود

وتحاسب الفاسدين والظالمين وفق منهج رباني لا يتغير ولا يتبدل بتغير الزمان والمكان حتى أقام الله حجته على عباده لذلك يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: إنما احتج الله على العباد بما آتاهم وعرفهم[1].

فبدل أن يذهب المكلف إلى الحج ويخسر مئات الآلاف من الليرات، ويرتهن نفسه في المدينة ومكة قرابة أسبوعين يجهد فيها بدنه، ما عليه سوى أن يعرف شخص فلان، ويقبل يد فلان مع دفع مبلغ زهيد يسميه زكاة، وانتهى الأمر، وقضي الحج.

أما الجهاد والقتال في ساحة الحرب والشهادة في سبيل الله، فلم أجد لها في الباطن ذكراً. ويعتقد من حمل ذلك المعتقد أن من جرى عليه القتل في هذا القميص البشري فهو قصاص عن عمل سابق قدمه في قميص سابق.

ولذلك فعلي عندهم لم يقتل والحسين لم يقتل. الأنبياء لم يقتل أي منهم. لم يذق أحد منهم عذاباً وألماً..الأنبياء لم يذوقوا الذبح أو الأذى. إنه ظاهر خادع. والمؤمن الحق من ينفي هذه الظواهر، وينسب القتل والألم للأعداء.

٤- أما قوله أخيراً: إن فهم النسيان الذي جاء في الآية ﴿**يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ..**﴾، على ظاهره فيه إشكال؛ لأنهم لم ينسوا، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنون يذكرونهم به كل يوم. وكان يجب وصفهم بالنكران وليس النسيان. والنتيجة: هناك معنى باطن هو المقصود، وليس الظاهر!

هذا ما وصل إليه.

أقول:

إذاً على قولك، ما الذي نسوه؟ هل هو الوجه السري الذي تحدثت عنه؟ لكنك تعترف أن الرسول صلى الله عليه وآله لم يبلغ هذا الوجه! فلا يصح إذاً إطلاق النسيان على هذا.

---

(١) كتاب المحاسن ج١ ص٤٢٩ - ٤٣٠.

إن النسيان له في اللغة معان، منها المعنى الحقيقي، وهو غياب الشيء عن ساحة الذاكرة لِعَرَضٍ ما، كنسيان موعد، أو نسيان إنجاز عمل، أو شراء سلعة أو ما شاكل..

ونسيان مجازي -وهو المراد هنا في الآية- ويعني الإعراض والترك، وإن لم يغب الشيء عن ساحة الذاكرة، ومنه قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[1]، وقد أكد هذا المعنى المراد أئمة أهل البيت عليهم السلام في أحاديث كثيرة، وتسالم عليه أهل اللغة.

٥- يتعرض الكاتب ثانية لقوله تعالى: ﴿وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ..﴾، فيسأل: إذا كان لا يعلم تأويله إلا الله، والراسخون لا يعلمونه، فما فائدة تنزيله عليهم؟ ما قيمة تنزيله دون معرفة تأويله في الحياة الدنيا، وقد مر عليه الزمن باحتكار الله له؟

أقول: سبق إيضاح معنى التأويل، وقد أورده الشيخ أيضاً – وهو مصير الشيء إلى مآله –

فبناء على هذا الفهم لا معنى للاعتراض هنا، لأنك تريد فتح كتب الأعمال في الدنيا، ومعاينة النتائج، وتريد أن ترى الجنة ومن فيها وما فيها، وأن ترى النار ومن فيها وما فيها، وأن ترى قبل ذلك من هم هؤلاء المؤمنون الذين يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، ومن هم أولئك المنافقون الذين يقولون لهم: ﴿انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾[2].

والله تعالى شاء أن يجعل كل ذلك مستوراً عنا خبره. فهل نسمي بقاء تلك الملفات مطوية عنا (احتكاراً) من الله؟ وهل نقول: لا فائدة من التنزيل إن لم نعرف ذلك التأويل؟ فهذا علم غيب ﴿وَما كانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾[3].

(١) سورة التوبة الآية ٦٧.

(٢) سورة الحديد الآية ١٣.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٧٩.

لا مصلحة شرعية في إطلاعنا على هذا المآل لوعد القرآن؛ لأنـه يـؤثر في العمل يأساً أو تواكلاً أو غروراً. وهـل تـرى مـصلحة في أن يُطْلِـع المـدرس طلابه على مآل عملهم قبل انقضاء الامتحان؟

العمل بالتنزيل هو الذي يحدد مسار التأويل لصاحبه. فكيف تسأل: ما فائدة التنزيل؟!

أدلته على علم الباطن (التأويل) من خارج القرآن:

١- قول الإمام في نهج البلاغة: (والله لو شئت أن أخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكن أخـاف أن تكفـروا فيَّ بِرسـول الله ﷺ. ألا وإني مفضيه إلى الخاصة منكم ممن يُؤْمَنُ ذلك منه)[1].

هذا ليس من التأويل في شيء؛ وهو ما يـسميه بعـضهم بــ (المغيبـات)، وسماه الإمام: (تعلماً من ذي علم)، والإمام كان يخاطب أصحابه وليس عامة الناس، ومع ذلك فإنه لم يُفْضِ إلـيهم عمومـاً بـل إلى خاصـة مـنهم، ممـن لا يدفعه سماع ذلك العلم إلى الغلو والكفر بالنبي ﷺ.

أما قوله: (وجميع شأنه) فما أظن أنها عامة شاملة لكل حركة وسكنة مـن أمور أي رجل منهم، وإلا وقعنا في الغلـو. وتفـسير (الـشأن) تقـديري، أي الشأن المعتبر من الأمور أخبر بها، ومثل هذا الحذف موجود في أساليب اللغة وفي القرآن؛ فقوله تعالى يصف ريح عاد: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾[2]. علماً أنها لم تدمر إلا في مكان مخصوص هي الأرض التي أرسلت إليها، أرض عاد ومساكنهم، وإن كان لفظ (كل شيء) عام.

٢- جاء بأبيات شعر تنسب للإمام السجاد وهي قوله:

إني لأكـتم مـن علمـي جـواهره ....

---

(١) نهج البلاغة. الخطبة ١٧٥.

(٢) سورة الأحقاف الآية ٢٥.

أقول: حيث كتم الإمام السجاد، فلن نرجم بالغيب ونقول: يقصد كذا وكذا، فالظن لا يغني من الحق شيئاً، لماذا لا نقول بأن الإمام امتثل قول النبي ﷺ وهو ينظر إلى أصحابه قائلاً: أتحبون أن يُكذَّب الله ورسوله؟ قالوا: لا يا رسول الله، فقال ﷺ: إذاً حدّثوا الناس بما يطيقون.

وقال في مكان آخر: إنا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم[1].

بمعنى أن طالب الابتدائي يصعب عليه أن ندخله مع طالب الإعدادي أو الثانوي في دروسهم والثانوي قد يصعب عليه أو يستحيل في بعض الأحيان أن يفهم درس الطالب الجامعي دون مقدمات.

٣- استشهد بآية: ﴿وَمَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾[2]، وما شرح به الإمام الهادي عليه السلام الآية من أن معناها الباطن: إحياء النفس بالهداية للولاية.

أقول: نعم، هذا مما يتحمله المعنى لتحمل اللغة له، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾[3]. ومثله الشاهد الذي أورده تالياً عن دلالة الهدى، ومثله لفظة (العمى)، فمرة تدل على عمى البصر، ومرة تدل على عمى البصيرة. وهذا أيضاً ليس من باب التأويل، بل هو تَوَسُّعٌ لغوي نزل به القرآن على وفق أساليب اللسان العربي.

٤- أورد شاهداً رآه مناسباً لإثبات التأويل، هو ما نسب إلى زين العابدين السجاد من قوله: (علم سلمان علماً لو علمه أبو ذر لكفر)[4].

أقول: هذا الحديث موجود بألفاظ مختلفة في بعض كتب الشيعة، والذي رأيته في الكافي -وهو مصدر حديثه هنا- في نفس الباب الذي ذكره: (لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخى رسول الله بينهما)[5].

---

(١) كتاب الكافي ج١ ص٣٩ - بحار الأنوار ج١ ص١٠٦.

(٢) سورة المائدة الآية ٣٢.

(٣) سورة الأنعام الآية ١٢٢.

(٤) بحار الأنوار ج٢٢ ح٦٠ ص٣٤٦ - نفس الرحمن في فضائل سلمان ص٢٥٧.

(٥) اختيار معرفة الرجال ج١ رقم ٤٠ ص٦٩ - بصائر الدرجات ص٤٥ ح٢١

إذاً- وعلى فرض صحة هذه الأحاديث- دعنا نعمل بالتنزيل، ونتجنب التأويل، واترك أبا ذر وسلمان أخوين متحابين.

على أن مثل هذه الأحاديث المنسوبة إلى أهل البيت عليهم السلام تغري بالإمساك على ما يحملونه من بواطن وتأويلات، وكأن كفر الناس بما يحملونه هم هو كفر أبي ذر بسلمان، وكذلك فَهُم قلة، والمؤمنون قلة. ولقد رأيت ناساً منهم يحفظون تلك الأقوال والأشعار أكثر مما يحفظون من كتاب الله فهي الكاء لأجربة الباطن وليس القرآن.

زعمه أن (الطريقة) موجودة في القرآن!

ادعى أن قوله تعالى: **﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾**[1]. يشير إلى (الطريقة) بمعنى الباطن، ولو من وراء ستار.

وقال معرضاً بظاهر الآية: (لو أخذنا بجانب الظاهر فقط لتفسير هذه الآية نجد أنه تعالى يعد المؤمنين المستقيمين بالماء الغزير.. فما هذا التكريم العظيم بالماء؟ وهل الماء الظاهر قليل للمؤمنين والكفار..؟ ومعنى هذا أن الأسماك من أوائل أهل الجنة من المؤمنين.. مما يؤكد بما لا يقبل الشك وجود تأويل للأمر..). أقول:

١- إن لفظة (الطريقة) في الآية ليس مصطلحاً لمنهج باطني يسلكه المسلم، بل هي مذهب في الوصول -على عمومه- وقد جاءت مجموعة قبل أربع آيات على لسان الجن بقولهم: **﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً﴾**[2].

٢- هذه الآية الكريمة تعد المؤمنين الذين استقاموا ببركات السماء، وهو ما جاء في آيات كثيرة من هذا الوعد الإلهي، من مثل قوله تعالى: **﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ..﴾**[3].

---

(١) سورة الجن الآية ١٦.

(٢) سورة الجن الآية ١١.

(٣) سورة الأعراف الآية ٩٦.

وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا - إلى قوله -: لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾(1).

وقوله: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً..﴾(2)..

وقوله: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾(3).

فإذا كان ظاهر هذه الآية لم يعجب الشيخ أو لم يقنعه؛ لأنها وعدت بالماء الغدق الذي يحيي موات الأرض، والناس تطلبه غوثاً حتى في هذا القرن الحادي والعشرين؛ فماذا يفعل بأدعية النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام في الاستسقاء، والإعلان بالتضرع إليه تعالى، والذلة بين يديه من أجل نزول الغيث.

فمن أدعية نهج البلاغة: (اللهم قد انصاحت جبالنا، واغبرّت أرضنا، وهامت دوابنا.. ندعوك حين قنط الأنام، ومنع الغمام، وهلك السوام، ألا تؤاخذنا بأعمالنا، ولا تأخذنا بذنوبنا.. اللهم سقيا منك محيية مروية، تامة عامة، طيبة مباركة.. تنعش بها الضعيف من عبادك، وتحيي بها الميت من بلادك.. فإنك تنزل الغيث من بعد ما قنطوا وتنشر رحمتك وأنت الولي الحميد)(4).

ولا ننسى بعد هذا تتمة الآية، وهي قوله تعالى: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ..﴾ فإن الماء الغدق، وخصب الأرض ووفور النعمة كل ذلك ابتلاء وفتنة، كما قال النبي سليمان عليه السلام: ﴿هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾(5).

---

(1) سورة المائدة الآية ٦٦

(2) سورة نوح الآية ١١

(3) سورة هود الآية ٥٢.

(4) نهج البلاغة الخطبة ١١٥.

(5) سورة النمل الآية ٤٠.

ولذلك فلا محل للسخرية وضرب الأسماك مثلاً، وقوله: (إن الأسماك من أوائل المؤمنين لما تنعم به من الماء الغدق). فلو كان للأسماك عقل وتكليف شرعي لوعدها بما تحتاجه وتبحث عنه، وليس بالماء الذي تتنفس منه الهواء، وهل هناك آية تعد المؤمنين بالهواء؟ فهذه النعمة لا تنقطع، بخلاف الماء الذي هو - وبخاصة في البيئة الصحراوية عرضة للانقطاع أو الشح، وهو بالتالي غيث السماء للأحياء.

وبعد أن سفّه الشيخ ظاهر الآية، وأسقط أناقتها في أعين أتباعه، وصل إلى النتيجة التي يريدها، وهي قوله: (حتماً سوف يكون الماء روحياً وليس مادياً..). وعزز قوله بحديث منسوب لأهل البيتعليهم السلام في باطن هذه الآية، عن الإمام الباقر:

(.. لأشربنا قلوبهم الإيمان. والطريقة هي ولاية علي)[1]. ولو قُبل الحديث، فليس فيه إسقاط لظاهر الآية، بل على العكس من ذلك إذ يصبح معناها: لو استقاموا على ولاية الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام وأطاعوه في أمره ونهيه واتبعوا نهجه لأفدناهم من علمه كثيراً للدنيا والآخرة وأشربنا قلوبهم الإيمان، بخلاف كلام الشيخ الذي يقول إن الماء ليس مادياً، وأن التفسير الظاهر لا يستقيم.

إذاً ماذا تفعل بقول الإمام: (القرآن ظاهره أنيق..)[2].

السؤال السادس والعشرين:

الصلاة وتشريعها.عن الصلاة الباطنة التي يؤديها أبناء الطائفة. ما الشاهد عليها من كتاب الله وسنة رسولهصلى الله عليه وسلم؟

وعن المراتب والخمر والبخور والماء والريحان.

(١) تفسير البرهان ج٨ ص١٣٩ تفسير سورة الجن.
(٢) نهج البلاغة الخطبة١٨

وعن كيفية استدراج التلاميذ في عهد النبي ﷺ والأئمة المعصومين؟

في الجواب: أنكر الشيخ صراحة تلك الصلاة، وقال إنها لم تكن على عهد النبي ﷺ والأئمة المعصومين، ولا حتى على عهد الشيخ الخصيبي وتلاميذه، وإنما وضعها المشايخ في عهد متأخر، وأُدخل في طقوسها البخور والريحان والخمر.

أما موضوع استدراج التلاميذ فأجاب قائلاً: إن ذلك كان يتم عن طريق البيعات وما شابهها، والاستدراج كان عن طريق سيدنا سلمان؛ لأنه (الباب)، وجاء بشاهد من كلام أمير المؤمنين عليه السلام يقول فيه عن علم التوحيد:

(ألا وإني مفضيه إلى الخاصة منكم..).

إذاً -كما يقول- الصلاة الباطنة الحالية بدعة متأخرة من وضع المشايخ لتميز الطائفة عن غيرها، وكتاب القيام وضع بعد عهد أبي سعيد من قبل مشايخ ابتدعوها واختلفوا فيها أيضاً، فكانت الصلاة الحلبية والإمامية والوسطى.!

ويسأل: ماذا أبقوا للمعصومين؟ وماذا أبقوا لشيخ الدين؟

أقول: نحيل هذه المعطيات للتفكّر مِنْ قبل الأتباع والمريدين. وهنا ملاحظة حول الحديث الذي أورده من كلام الإمام عليه السلام:

لا شأن لكلام الإمام بموضوع تعليم التلاميذ الذي ادّعاه، والقول مقتطع من سياقه ليخدم فكرته، فالإمام يتكلم عن أخبار وحوادث أطلعه عليها النبي ﷺ، ولم يتعلق الأمر بتأويل قرآن، وتشخيص لفرائض، وترميز لحيوانات..واقرأ تتمة كلامه إن شئت: (.. ممن يؤمن ذلك منه. والذي بعثه بالحق، واصطفاه على الخلق، ما أنطق إلا صادقاً، وقد عهد إلي بذلك كله، وبمهلك من يهلك، ومنجى من ينجو، ومآل هذا الأمر. وما أبقى شيئاً يمر على رأسي إلا أفرغه في أذني، وأفضى به إلي).

هذا كله ينسجم مع كون الإمام باب مدينة علم النبي ﷺ، وليس سلمان كما ذكر آنفاً.

وكان عند حذيفة كذلك أخبار من النبي ﷺ بأسماء المنافقين، وقال حذيفة في ذلك: (لو أخبرتكم بكل ما أعلم، ما مددت يدي إلى فمي حتى أقتل)[1].

السؤال السابع والعشرين:

الفرق بين قتل هابيل، وقتل الإمام علي عليه السلام:

قال: لماذا قاتل هابيل مذموم، وقاتل علي محمود؟ وإن كان ابن ملجم مأموراً، فلماذا قتله الإمام الحسن عليه السلام بسيف أبيه الإمام الذي ما قُتل به أحد إلا دخل النار؟!

وعن قول القائل إن قابيل قتل نفسه، حيث تصورت من نفسه الظلمانية صورة هابيل فقتله فكان أن قتل نفسه فندم! وإذا كان ذلك قد وقع، فلماذا لم يمت قابيل؟

أجاب الشيخ عن تلك الأسئلة المهمة بما يلي:

١ - إن فعل قابيل كان بتسويل نفسه، أما فعل ابن ملجم فكان بأمر مولاه، فكيف نذمه؟!

٢- يقر أن ابن ملجم قُتل بسيف الإمام، ولكنه لن يدخل النار للسبب السابق، وهو أنه مأمور!

٣- إن قتل قابيل كان لجسم يشبه هابيل، وهو ظلمة من نفسه المظلمة. وعن قتل نفسه قال: إنه قتل معنوي، كما قتل يزيد نفسه روحياً.. وقد بقي حياً بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

أقول:

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٦/٢٥٩.

أولاً: سواء كان القتل بدافع شخصي، أم بأمر من الغير، فالسؤال هنا عن سبب القتل واستحقاقه.

هل يستحق هابيل القتل؟ هل يستحق الإمام القتل؟

الجواب في كلا السؤالين: لا. فالقاتل آثم حتماً. وننطلق في ذلك من قواعد ومبادئ قرآنية ثابتة، لا يمكن لروايات الكتب الصفراء والمشبوهة أن تغيرها، ومن ذلك:

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾[1].

﴿مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً..﴾[2].

﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾[3].

﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾[4].

أما الحديث عن مسرحية تكليف الإمام علي عليه السلام لعبد الرحمن بن ملجم بقتله؛ فهذه من مبتدعات بعض الزعماء وشيوخ العشائر الجهلة الذين لا علم لهم بالتاريخ واللغة والعلوم التي يُعتمد عليها في استنباط الأحكام الشرعية، صَدَّقَهم بها صغارهم وجُهّالهم، فصارت عندهم كقرآن لا يأتيه الباطل.

فلماذا يطلب الإمام عليه السلام من سواه أن يقتله؟

لماذا يُوَرِّط ابن ملجم – إن زعموا أنه صاحبه – بهذا الفعل العظيم الذي يقشعر بدن المرء لتصوره؟!

ثم، لماذا أسلمه للقتل والذم واللعن، بفعل لا يمكن معه إلا أن يذم ويلعن من يأتيه؟

---

(١) سورة النساء الآية ٩٣.

(٢) سورة المائدة الآية ٣٢.

(٣) سورة الأنعام الآية ١٥١.

(٤) سورة النساء الآية ٢٩

أليست هذه جريمة مزدوجة؟ لماذا يقتله روحياً وبدنياً؟

أليس كان أحرى بالإمام – وحاشاه- لو أراد أن ينهي حياته أن يقتل نفسه، فيميط الأذى واللعن عن صاحبه، ويحفظ حياته؟

وإن كان لا بد من هذا التوريط – أو التكليف إن شئتم – فَلْيَقتله بمنأى عن الناس، حيث يتفق على مكان معزول لا شهود فيه على الفعل، لا أن يتم ذلك وأمير المؤمنينعليه السلام يصلي بالناس صلاة الفجر، ليكون مشهد الجريمة قاسياً ومنكراً ومستبشعاً إلى هذا الحد.

أهكذا حقاً أيها الرواة والنقلة هي أخلاق الإمام عليعليه السلام؟!

أهكذا علمه بمعنى الشهادة في سبيل الله؟!

ماذا تسمي من يقول لآخر: تعال اقتلني.. في قانون وضعي، أو شرعة سماوية؟ أليس كلاهما قاتلاً؟

ثانياً: وكيف نسيتم أن الرسولصلى الله عليه وآله بشر الإمام عليعليه السلام بالشهادة، وقال له: كيف صبرك؟ فأجابه: إن هذا من مواطن البشرى والشكر.

فهل تراه لم يعد يستطيع صبراً، أو غلبه اليأس من تثاقل أصحابه وخيانتهم؟

ثالثاً: من أين جئتم بهذه الصحبة لابن ملجم؟ وهو ممن خرج على الإمام مع خوارج عصره الذين ذكرهم النبيصلى الله عليه وآله بقوله أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وقصته مع (قطام) معروفة، حيث أحبها، فاشترطت لنفسها أن يكون مهرها قتل عليعليه السلام، فأجابها إلى ذلك، وكانت خارجية قُتل أخوها وأبوها الأخضر في معركة النهروان وهما يحاربان الإمامعليه السلام وفي ذلك يقول الشاعر العبدي المعاصر للحادثة:

فلم أرَ مهراً ساقه ذو سماحةٍ   كمهر قطام من فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة   وضرب علي بالحسام المسمم[1]

(١) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٥٧.

وقد شبهه النبي ﷺ بعاقر ناقة صالح، وكان الإمام نفسه يقول في أوقات تضجره من أصحابه: (ما ينتظر أشقاها)[1]؟

وقال في وصيته: (انظروا إذا أنا مت من ضربته فاضربوه ضربة بضربة ولا تمثلوا بالرجل)[2]. ونسب إليه أيضاً قوله: (إن أبق فأنا ولي دمي، وإن أفن فالفناء ميعادي، وإن أعف فالعفو لي قربة وهو لكم حسنة فاعفوا..)[3].

ويمكن باستغراب مقارنة موقف الشيخ الذي يتولى الإجابات في هذا الكتاب من كل من عبد الرحمن بن ملجم والزبير بن العوام، حيث جاء موقفه من الزبير جريئاً ومتجاوزاً للمنقول من مدحه في كتب الطائفة، علماً أن كلا الرجلين عند الطائفة مذمومان ظاهراً محمودان باطناً، وكلاهما ورد ذمهما على لسان الإمام عليه السلام، وفي المصدر ذاته الذي أخذ منه الشيخ هجومه على الزبير، وهو نهج البلاغة./ راجع جوابه رقم ٢٨ وكيف أطاق ابن ملجم حمل هذا التكليف بقتل إمامه وخير البشر بعد النبي ﷺ، وظل هادئاً صامتاً وهو يُعْرَضُ على السيف لِيُقتل؟ فلماذا لم يدافع ويوضح الحقيقة لمن لم يعرف، ويقول: أنا عبد مأمور.

وإن كان الإمام رتب هذه المسرحية- وحاشاه ثانية-فلماذا لم يُطلع ولديه الإمامين الحسن والحسين على فصولها، ويوصيهم بإكرام الكبش العظيم بدل ذبحه؟!!

فهل علموا أو لم يعلموا؟

إن قلت علموا، فلماذا خالفوا عن أمر أبيهم؟ هل غلبتهم شهوة الانتقام؟ فهل هذه مرتبة سيدي شباب أهل الجنة الذين نقول بعصمتهم؟

هل نجح ابن ملجم في الاختبار حيث فشل الإمامان، وأطاق ما لم يطيقا؟

(١) تاريخ بغداد ١٥/ ٣٢٠.

(٢) نهج البلاغة الكتاب ٤٧.

(٣) نهج البلاغة الكتاب ٢٣

رابعاً: أما ما قاله من أن القتل من قابيل وقع على جسم يشبه هابيل منتزع من نفس قابيل المظلمة، فكلام مردود على صاحبه، لنص محكم من القرآن، يقول سبحانه: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾. ويقول: ﴿فَبَعَثَ اللهُ غُراباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ..﴾.

إن الاضطراب واضح هنا في إجابات الشيخ، ولم يقدم أي تصور أو طرح مقنع، بل ألقى بتلك الأضغاث من الأوهام في وجوه القراء، كأنها نشرات حزبية يجب تلقيها وانتظار ما بعدها دون مزيد من أسئلة!

ظهور جسم منتزع من نفس قابيل!

يقوم قابيل بقتل ذلك الجسم، حيث يحسبه أخاه!

يبقى القاتل حياً، ويموت أخوه الضحية!

يدفن القاتل جثة، فإلى من تعود هذه الجثة؟

هذا التخبط في التأويل هو نتيجة طبيعية لاستحلال إنكار ظواهر القرآن وحوادث التاريخ، بناء على فلسفات ابتدعت في عصر متأخر عن عصر الأئمة المعصومين، منها: أن الأنبياء والأئمة أكرم على الله من أن يذوقوا القتل والعذاب.

وسواء صح قولك أن يزيد قتل نفسه روحياً في كربلاء أم لا، فإن الإمام الحسين عليه السلام قد قُتل ونال الشهادة، وهي الكرامة من الله، وقد روى لنا الشيخ الخصيبي في الهداية الكبرى إخبار النبي صلى الله عليه وآله وإخبار الإمام علي عليه السلام باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء وفي الحوار الذي أورده الخصيبي بين أم سلمة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام الحسين عليه السلام عندما أراد الخروج إلى كربلاء الدليل الكافي على قتل الإمام واستشهاده حيث قالت أم سلمة للإمام: أذكرك الله أن تخرج إلى العراق.

قال لها: ولم يا أم سلمة.

قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يُقتل ابني الحسين بالعراق وعندي يا بني تربة في قارورة مختومة من تراب كربلاء دفعها إليّ جدك رسول الله ﷺ.

فقال لها الإمام الحسين عليه السلام: يا أم سلمة إني مقتول لا محالة فأين أفر من القتل وهو المقدور والقضاء المحتوم.

فقالت: واعجباه فأين تذهب وأنت مقتول لا محالة[1]؟

وفي رواية أخرى يقرأ على من يسأله: كيف يذهب إلى كربلاء وهو يعلم بقتله قول الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾[2].

ويصف الإمام الحسين عليه السلام بقعته التي يدفن فيها وكيف تصبح معقلاً لشيعته ومحبيه[3].

ثم يصف الخصيبي ليلة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وما جرى عليهم في كربلاء من القتل والسلب والسبي[4].

وهذه المدرسة التي أسسها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وولده الإمام الحسين بن علي عليه السلام لتعليم الناس ثقافة الشهادة وتربية أتباعهم عليها لئلا يركنوا إلى الخنوع والخوف من المستقبل المجهول بالخنوع إلى الظالمين لذلك يتصدى الإمام علي زين العابدين عليه السلام بعد كربلاء لتعريف الناس بثقافة الشهادة عندما يقول -وسط الجموع المحتشدة- لابن زياد:

(أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة)[5]؟

---

(١) الهداية الكبرى ج٢ باب الإمام الحسين عليه السلام الرواية ٢ ص٣٩٢-٣٩٣.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٤.

(٣) الهداية الكبرى ج٢ باب الإمام الحسين عليه السلام الرواية ٦ ص٣٩٦-٣٩٧.

(٤) الهداية الكبرى ج٢ باب الإمام الحسين عليه السلام الرواية ٣ ص٣٩٣-٣٩٤ والرواية ٧ ص٤٠٠، الإمام الحسين في روايات الشيخ الخصيبي ص١٣٤-١٤١.

(٥) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ١/٦١٤.

وقد ذكر الإمام علي الرضا عليه السلام جده الإمام الحسين بن علي عليه السلام بقوله:

لقد قتل الحسين وقتل من كان خيراً من الحسين أمير المؤمنين والحسن بن علي وما مِنّا إلا وهو مقتول[1].

وقد أُثر عنه هذا الدعاء أيضاً: (الحمد لله.. حمداً نسعد به في السعداء من أوليائه، ونصير به في نظم الشهداء بسيوف أعدائه)[2].

فهذا الكلام في الدعاء الأخير يؤكد أن القتل والشهادة إذا تمت للإمام فيجب أن تكون بسيف عدو، وليست بسيف صديق أو ولي.

وقد جرت العادة بين أبناء الطائفة إذا ذكرت لهم أن الأنبياء والأئمة المعصومين يجري عليهم القتل، يتلون عليك قوله تعالى: **﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾**[3].

بإجراء الخاص على العام، ودون أي مُسوِّغ شرعي، ومخالفة لِلُغَةِ الآية التي قصرت النفي على عيسى المسيح عليه السلام، ومخالفة للواقع ولعديد من آي القرآن في تأكيد وقوع القتل على الأنبياء كقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله: **﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾**.

السؤال الثامن والعشرين:

عن إظهار بعض الأفعال السيئة من (عوالم النور)، كالزبير وعقيل وأبي نواس.. أجاب الشيخ هنا بجرأة ووضوح، وقد أشرت إلى هذه المفارقة في مناقشة السؤال السابع والعشرين؛ حيث اعتبر المدح الذي جرى على الزبير وأمثاله من الدس، واستشهد بذم الإمام عليه السلام له في النهج، لكنه لم يتناول المعيار نفسه في قضية ابن ملجم، فلماذا تعدد المكاييل؟

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام باب ما جاء في وجه دلائل الأئمة عليهم السلام ص٢١٩ - بحار الأنوار ج٤٤ ص٢٧٨.

(٢) الصحيفة السجادية/ الدعاء الأول.

(٣) سورة النساء الآية ١٥٧.

السؤال الثلاثين:

يطلب السائل لمحة تاريخية موثقة عن الشاب الثقة. ومن هو سيده؟ وهل تتلمذ للجلي؟

أجاب الشيخ بلهجة عتاب على إثارة هذه المسائل، وقال أخيراً: (ماذا يفيدنا إذا نبشنا بالماء الصافي غير تعكيره؟ ولماذا لا نحافظ على ما يجب المحافظة عليه في صدورنا)؟

أقول:

لو كان الماء صافياً حقيقة، لم تظهر فيه عكورة عند تحريكه، على العكس من ذلك يقول الشاعر:

إني رأيت وقوف الماء يفسده   إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب

فبدل أن تنهى عن ذلك، لماذا لا تواجه هذه العكورة القابعة في الإناء، فتحللها، وتحاول التعرف على مكوناتها ومصدرها، وتناقش مع إخوانك سبل التخلص منها، وطرق الوقاية من تشكلها ثانية.

أما سؤال السائل فلم تجب عليه؛ لأنه طلب (لمحة موثقة)، فأين التوثيق؟

السؤال الحادي والثلاثين:

طرح السائل عدداً من الأسئلة عن تميم الداري وغيره. ومنها سؤاله عن سبب نزول سورة (البروج)، وكيف أن المراجع الباطنية تقول إن سبب نزولها: إحراق عبد الله بن سبأ من قبل أمير النحل.

قال الشيخ في الجواب: (لم يقل أحد إنها نزلت بإخوة عبد الله بن سبأ خاصة إلا بعض المتفيقهين من أدعياء العلم..).

وقال أيضاً: (ذكر السيد الخصيبي أن أمير المؤمنين أحرقه مع أصحابه.. دون أن يقرن ذلك الأمر بهذه السورة القرآنية..).

أقول:

يبدو أن السائل أعلم من المسؤول؛ لأنه نسب ذلك إلى الخصيبي صراحة ومفصلاً في الرستباشية خبر إحراق الإمام لابن سبأ وأصحابه، وقراءته عليهم سورة البروج. وإليك النص حرفياً من الرسالة:

(.. ومثل إحراقه عبد الله بن سبأ وأصحابه العشرة بالكوفة في صحراء الأخدود بالنار..وتلاوته عليهم: ﴿وَالسَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ﴾[1]، واستماع الناس منه ذلك وهو يقرأ قوله: ﴿النَّارِ ذاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْها قُعُودٌ * وَهُمْ عَلى ما يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾[2]..

وسأله الناس: لم قرأت عليهم؟ ولا يقرأ على الموتى. فقال لهم: ليحق قول الله: ﴿وَما نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾. وما أنزلت هذه السورة إلا فيهم خاصة). انتهى كلام الرستباشية. فتأمل.

السؤال الثاني والثلاثين:

يطلب السائل إثبات الإزالات المثلية من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ!

قال الشيخ في الجواب: (إنه يعجب من هذا الطلب؛ لأن باطن النبوة لا يصرح بها القرآن ولا النبي ﷺ ولا الأئمة المعصومين لغير الخاصة، إلا بمجرد إشارات وتنبيهات لمن لديه إجابة فيمضي للتحري عنها). وأضاف: (لو كان هذا الشيء موجوداً في القرآن، فما هي فائدة وجود النبي ﷺ والأئمة المعصومين بين البشر)؟

أقول:

١- سبق للسائل أن طرح سؤالاً، مشابهاً / رقم ١٦، وأقول له هنا ما قلته هناك، وهو أن قراءة كتاب الله عز وجل مرة واحدة كفيلة بتحصيل الجواب بالنفي: ليس هناك إثبات لظهور مثلي واحد.

(١) سورة البروج الآية ١.

(٢) سورة البروج الآيات ٥-٩.

٢- اعتبر الشيخ في جوابه أن من المسلمات الشرعية أن النبي ﷺ لا يصرح بالباطن.

هذه الفكرة مرفوضة شرعاً، وقد سبق مناقشتها، ونعيد التأكيد بأن التلميح ليس حجة على أحد، حتى على الراغب (المستبصر)، ويصبح (الباطن) مجرد ترف أو رياضة فكرية لا علاقة له بتكليف، بل قد يكون في بعض الأحيان انحرافاً وبدعة في الدين، وتقولاً على الله بغير علم.

ويصل الشيخ إلى قرار غريب في رده على السؤال، فيقول: لو كان القرآن ذكر الإزالات صراحة، فما فائدة وجود النبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام؟

كيف استقام لك هذا التقرير؟ ألا ترحم القراء قليلاً أيها الشيخ؟

ربما كان هذا السؤال مشروعاً لو أن النبي ﷺ جمع الناس ليعلمهم أسماء الإزالات، فنقول عندها: لو أن القرآن ذكرها لما كان هناك من معنى لفعل النبي ﷺ بتكلف تحفيظ الناس تلك الأسماء.

أما والحال كما ذكرت وادعيت، فالسؤال يجب أن يطرح الآن هكذا: ما فائدة وجود النبي ﷺ والأئمة المعصومين إن كانوا لن يشرحوا للناس ولن يبينوا ما كلف الله به عباده؟

٣- حاول الشيخ أن يُوَضِّح فلسفة الإزالة، فقال: إنها تتم عندما ينطق المعنى بلسان الاسم، ويجعل فيه القوة الإلهية المطلوبة.

فلماذا يحدث ذلك برأيه؟

يجيب: لأنه -أي الاسم- يكون في موقع يحتاج إلى معجزة إلهية فوق طاقة البشر!

وقال: إن الإزالة تعني إزالة كينونته، فيصبح مثل لوح من زجاج، لا شأن له في نفسه، إلا أن يبدي مولاه ما يريد أن يظهر مولاه منه.

أقول:

أ- هذه المحاولة لتعريف الإزالة وإيضاحها غير سديدة؛ لأن الظهور بالإزالة لا يتعلق بموقف أو حادثة عارضة يحتاج الاسم فيها إلى معجزة فوق طاقة البشر؛ أي ليست عملية إغاثية في موقف طارئ، وإنما تستمر فترة الظهور كله.

ب- ألا يظهر من (الاسم) معجزات إلا بإزالته، والظهور بمثل صورته؟ هذا يخالف الواقع وفلسفة الطريقة نفسها. ومتى كان الاسم عندكم من البشر حتى يحتاج (لإزالة) كي تتحقق على يديه صورياً معجزة فوق طاقة البشر؟

ونسأل: كيف أظهر الرسول محمدﷺ (الاسم) كل تلك المعجزات دون أن يتدخل المعنى لإزالته؟

فمما رواه الشيخ الخصيبي في (الهداية الكبرى) قال: (لما أظهر الله دينه، ودعا رسول اللهﷺ إلى الله، كانت بقرة في نخل بني سالم، فدلت عليه البقرة وأذنت باسمه، وأفصحت بلسان عربي مبين.. فقالت:

يا آل ذريح: صائح يصيح بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً رسوله حقاً..)[1].

معجزة - لاشك - فوق طاقة البقر، وفوق طاقة البشر. أن يتكلم الحيوان الأعجم بلسان عربي يدعو إلى الإيمان بالنبي المرسل!

ووفق منطق الشيخ وتفسيره فقد كانت البقرة نفسها بحاجة لإزالة!

كيف أظهر النبي عيسى عليه السلام إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص دون إزالته؟

كيف شق موسى البحر بعصاه دون إزالة؟

كيف انفجرت من الحجر اثنتا عشرة عيناً بضربة منه دون إزالة؟

---

(١) الهداية الكبرى باب رسول الله /الحديث١٧.

ج- أما دلالة (الإزالة) لغة، فليس وضع شيء أمام شيء كغطاء ساتر، أو كصورة تملأ المرآة..بل معناه: اقتلاع الشيء من مكانه وإذهابه؛ وأزال الشيء: جعله يزول. وفي كلام العرب: الزول: الحركة، يقال: رأيت شبحاً ثم زال، أي تحرك، وزال القوم عن مكانهم إذا حاصوا عنه وتنحوا، ويقال: استجِل هذا الشخص واستزله أي انظر هل يحول: أي يتحرك أو يزول، أي يفارق موضعه، وقال يعقوب: يقال: أزال الله زوال وزال الله زوال: يدعو له بالهلاك والبلاء[1].

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا﴾[2].

وقال: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ما لَكُمْ مِنْ زَوالٍ﴾[3].

ومن المروي عن المأمون العباسي قوله عند احتضاره: (يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه)[4]. فمن أزال ملكه وكيف؟

د- أراد الشيخ أن يستنبط فلسفة الإزالة من القرآن الكريم، فضرب لنا مثلاً من قوله تعالى في خطاب النبي ﷺ: ﴿وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى﴾[5].

حيث نسب فعل الرمي إليه سبحانه.

أقول:

رميك أنت غير مصيب؛ لأنه سبحانه نفى الفعل وأثبته في وقت واحد: وما رميت   إذ رميت.

لماذا جاء التعبير هكذا؟ لأن الذي أقدره على الرمي، ولأن الذي سدد رميه هو الله تعالى. فهو الفاعل الحقيقي.

---

(١) لسان العرب ج٤ مادة زول ص٣٢٣ ٣٢٤.

(٢) سورة فاطر الآية ٤١

(٣) سورة إبراهيم الآية ٤٤

(٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٦/١٠٦

(٥) سورة الأنفال الآية ١٧

ومثل آخر جاء به، هو قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى..﴾ [1]. فقال: (هنا أحيا الله الميت عن طريق بقرة، فلماذا لا يفعل مع الأسماء؟ وأين كانت البقرة عندما حصلت واقعة الإحياء)؟

أجيبه:

أولاً: إن الله تعالى أراد إثبات قدرته بـ (كن فيكون)، ليخرج المؤمن به من عبادة الأسباب إلى عبادة المسبب.. ولن يقع الوهم بالتأكيد على أن بعض البقرة الميتة تملك قدرة على شيء مهما صغر، فضلاً عن إحياء ميت. أوليست عصا موسى شيئاً ميتاً كذلك؟ وقد أمره الله أن يضرب بها الحجر فانفجرت العيون بها، فتلك وسائط القدرة بأسباب وكيفيات نجهلها.

ومع تلك المعجزة التي استشهد بها فهل حدث إزالة؟ هل هي ضمن طاقة البشر؟

٤- تحدث الشيخ في النهاية عن الرستباشية، وقال إنها لم تكتب في عهده، بل كانت معلومات سماعية نقلها فلان إلى فلان، وكان الشيخ الخصيبي ينهى عن كتابة علم التوحيد..

رغم ذلك يضيف الشيخ: (هذا لا يعني أن نشكك فيما جاء بالرسالة من علم التوحيد.. ولم أجد أحداً قد شكك من قريب أو بعيد بها ونسبها للخطأ. إنما حصل ذلك في تأويل بعض معطيات هذا العلم).

هنا أحيله إلى نفسه، وما كتبه في الصفحة / ٣٣ عن الرستباشية، حيث قال: (أما سؤالك عن الدس في رسالة الشيخ فمن يمنع أمثال هؤلاء أن يدسوا ويدسوا.. وقد تأكد لدينا أن فقه الرسالة ليست قطعاً لسيدنا الخصيبي؛ لأن مقدمتها تؤكد هذا بقول الذي ألفها وهو ما يلي:

«قال الحسين بن حمدان» فلماذا لا يكون كل الرسالة هكذا.. فلماذا لا يغيرون؟).

---

(١) سورة البقرة الآية ٧٣.

فكيف نوفق بين تشكيكاته الأولى، وتأكيده الآخر على وثاقة الرسالة؟!

كيف تفهم قوله: لماذا لا يكون كل الرسالة هكذا؟ غير قصده أن الرسالة مثل فقهها ليست للخصيبي؟

وقد سجلت ملاحظات (تشكيكية) على الرسالة، أثبتها في آخر هذا الكتاب لطولها.

السؤال الحادي والأربعين:

عن نسيان يوشع في قوله تعالى: ﴿وَما أَنسانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطانُ..﴾. وهذا يثبت أن الشيطان له سبيل إليه، في حين يقول تعالى: ﴿إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ﴾.

تضمنت إجابة الشيخ ما يلي:

١ - إن ابليس هو المقصود بالآية ﴿إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ﴾، وليس الشيطان، ومن الفروق بينهما أن الشيطان وسواس.. الخ.

٢ - لا نعترف بتسلط الشيطان على يوشع، والقرآن نزل بصيغة: (إياك أعني واسمعي يا جارة)! ومعنى هذا أن يوشع ذكر الشيطان ليعبر أن له سلطاناً على البشر الذين تجلى لهم بصورتهم.

أقول:

أولاً: لا دليل على أن المقصود بالفتى في الآية الكريمة هو يوشع، والوصي لا يخاطب بهذا.

ثانياً: كون فتى موسى قد نسي الحوت، لا يثبت أن الشيطان له سلطان عليه؛ فالنسيان من عوارض المزاج البشري، ويمكن للشيطان أن يتسرب ويفعل في هذا العارض. أما السلطان فهو إخراج الإنسان عن الجادة، عن الصراط المستقيم، ليصبح (من الأتباع الغاوين). كما هو صريح الآية السابقة.. السلطان قيادة من إبليس، واستسلام واتباع من الإنسان.

ويسمى شيطاناً كذلك: ﴿فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[1].

وقد ذكر القرآن أنواعاً من تأثير الشيطان، منها ما يصيب المؤمن مثل:

- الإنساء (الذي ذكر).

- المس: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[2].

والمتقون هم من أعلى درجات المؤمنين، ومع ذلك فهم عرضة لهذا النوع من التأثير المحدود الذي لا يخل بالاستقامة، وسرعان ما يمحى ويزول ويتبدد بذكر الله.

- الإزلال: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطانُ عَنْها فَأَخْرَجَهُما..﴾[3]. والمقصود آدم وزوجه.

- الوسوسة. ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطانُ قالَ يا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾[4].

ومن تأثيراته: الفتنة – الرجز– النزغ...

ومن تأثيراته التي لا تصيب المؤمن وهو على إيمانه: التزيين- الأز- الاستهواء- التسويل..

ثالثاً: نحن لا نعترف بوجود سلطان شيطاني على سيدنا يوشع، ولا على عامة المؤمنين المتوكلين على ربهم، لما سبق إيضاحه من الفرق بين التسلط وما هو أدنى منه من إنساء وغيره.

---

(١) سورة النحل الآية ٩٨.

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٠١.

(٣) سورة البقرة الآية ٣٦.

(٤) سورة طه الآية ١٢٠.

لكن المشكلة مع فهم الشيخ هنا أنه يؤكد التسلط وينفيه في وقت واحد: يؤكده لغة، وظاهراً، وينفيه تأويلاً وباطناً، اعتماداً على مبدأ: (إياك أعني واسمعي يا جارة). نعم هذا المبدأ يصح في حال كان المخاطب مشمولاً مع غيره؛ أي: خطاب الخاص ويراد به العموم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ﴾[1]. والصيغة هنا خطاب المفرد، ولكن المعني بها كل مخاطب. وقوله ﴿لَنْ تَرانِي﴾، خطاب مفرد كذلك ويراد به عموم الناس..

والقرآن في موضوع (يوشع) يثبت واقعة جرت مع سيدنا موسى عليه السلام وفتاه، فماذا نفعل؟ هل ننكر حصولها ونتهم القرآن بما نترفع عن اتهام أنفسنا به؟

طبعاً عندما تحمل عقيدة جاهزة من خارج القرآن، يصبح القرآن تبعاً لها، ويتم (إقحام) الجارة للحفاظ على سلامة تلك العقيدة.

وتصبح المسألة هكذا وفق منطق أرسطي:

- يوشع إله.
- النص القرآني يذكر أنه بشر ينسى.
- النتيجة: -النص مؤول.

والحري بالمؤمن أن يبدأ بالقرآن خالي الذهن والقلب من أي انتماء مذهبي، فيعرض عليه كل خبر جاءه من خلفه، وهذا في الحقيقة ما أُمِرَ به المسلم في كتب العامة والخاصة.

السؤال الثاني والأربعين:

عن بعض تلاميذ الخصيبي، وما عرض لهم من انتحار أحدهم بسبب نسيان الدستور، وارتداد ثان، وإفشاؤه السر، وقول الثالث: إن الغراب في القبة الحابيلية مُسِخ.

(١) سورة الإسراء الآية ٢٣.

قال الشيخ في الإجابة: (كما أنسى الشيطان يوشع هناك، ربما يفعل أيضاً مع البعض القليل من التلاميذ).

أقول: هو أنكر أن يكون يوشع قد نسي فعلاً، فكيف يضرب به مثلاً هنا؟

مناقشة وتحليل لما جاء في السؤال:

عرض السائل لعدة حالات مما جرى مع بعض تلاميذ الخصيبي، وهي:

١ - الانتحار: حدث بسبب نسيان الدستور. ورغم أنها حادثة مفردة، إلا أنها تدل على ثقافة معينة عند الطائفة؛ حيث أن الدستور محفوظ ومقدس أكثر من القرآن الكريم، والدقة في حفظه -- وليس في ضبطه -تزيد كثيراً على الاهتمام بحفظ كتاب الله.

٢ - حالة (ارتداد) عن الدين المنسوب للخصيبي:

والنظر إلى رجل ترك الطريقة على أنه مرتد، ما زال ثقافة سلفية إلى اليوم، وبحسب ما أعلم فإنه قد تم قتل ذلك (المرتد)، وهذا يدل على تكفيره. ولا يهم بعد ارتداده ماذا اختار من دين أو مذهب؟ هل بقي على التشيع؟ أم (تسنن)؟ أم ارتد عن الدين عامة؟

هنا نتحدث – في مسألة الارتداد وحكمه عن انحراف عام أصاب الأمة ومذاهبها، فلا يكاد يخلو مذهب من فتوى بقتل المرتد، في مخالفة صريحة لقوله تعالى: ﴿لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾[3]..

وذكر في السؤال: إفشاء السر. ويظهر أن (المرتد) هو نفسه من أفشى السر، رغم أنه ذكر أربعة تلاميذ للخصيبي، تباعاً بعد ثلاثة أنواع من الانحرافات ظهرت منهم..

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٦.

(٢) سورة الكهف الآية ٢٩.

(٣) سورة الغاشية الآية ٢٢.

المهم أن إفشاء السر يبدو أخطر من الارتداد أو هو عنوان له غالباً، رغم أن كتب الطائفة أصبحت متاحة على الأنترنت، وبعضها في المكتبات العامة على مستوى العالم مثل الرستباشية ومجموع الأعياد... وغيرهما ولم يزل بعض من يتمي للخصيبي مقتنعاً من خلال العادات والتقاليد أن دين الله سر لا يباح به إلا لمن تعلم هذا العلم بطريقة (شرعية). ويقع العوام في حيرة عند محاولة التوفيق بين الأمر بالسرية، والحديث في الوقت نفسه عن تصريح النبي ﷺ وأمير المؤمنين أمام آلاف الناس بأعلى هذه الأسرار!

٣- أحد التلاميذ يقول: إن الغراب في القبة الهاشمية (مُسِخ)!

قضية تبدو عند بعضهم ذات شأن، وعند آخرين تبدو من سِقط المتاع، ولا تستحق تدوينها في كتاب.

ومن حيث الأصل، فالحيوانات في الطريقة مسوخ كلها، فلا أعلم وجهاً لاعتراض بعضهم على اعتبار الغراب كذلك، إلا السبب الذي ذكرته آنفاً وهو أن هؤلاء تسلحوا بعقيدة من خارج القرآن، ولا بد إذاً من تأويل الآيات.

الغرابان في القصة هما باطناً: جبرائيل وميكائيل، وهما سلمان والمقداد. وقد تم إرسال الملاكين ليتصارعا، ويقتل أحدهما الآخر، أو بفلسفة الباطن: لِيُظْهر أحدهما قتل الآخر. في النهاية يقتل سلمان المقداد – فقط ليرى المجرم كيف يدفن أخاه القتيل!

لكن القرآن لا يذكر غرابين، بل غراباً واحداً يبحث في الأرض، والقصة التي بني عليها الباطن مختلقة من جملة الاسرائيليات.

المهم أن الغراب يبقى غراباً مهما شرّق أو غرّب المؤولون.

وذكر الشيخ أسماء بعض الحيوانات التي قال إن لها شرفاً خاصاً على بني جنسها، وأنها ستدخل الجنة، ومنها: كلب أهل الكهف وناقة صالح وحمار العزير..وذئب يوسف!

طبعاً وجد الشيخ في بحار الأنوار ضالته، وتراثنا محشو بالترهات أمثال تلك، وبكل ما يثير سخرية النقل من العقل. ولو أردت مناقشة ما في كتاب بحار الأنوار الذي يربو على مئة مجلد من أساطير، لاحتجت إلى عمر آخر.. والمجلسي هو من الاتجاه (الأخباري) في الطائفة الاثني عشرية الذي لا يُعنى بتمحيص الروايات، وقد جمع كل ما وقع تحت يده من أخبار وأحاديث جمع رواية لا غير.

لكن أقول للشيخ: هل كان ليوسف ذئب؟!

لقد نقل التاريخ أن (القُصّاص) كانوا يُحَدِّثون الناس بما يسمى (قصص القرآن). وقال أحدهم مرة: إن اسم الذئب الذي أكل يوسف هو (رجحون)، فقيل له: إن يوسف لم يأكله الذئب! قال: فهذا اسم للذئب الذي لم يأكل يوسف[1].

فأي ذئب منهما تعني يا سيدي الشيخ محمود؟!

إذا كنت تقصد الذي لم يأكله، فكل الذئاب في الجنة!

السؤال السابع والأربعين:

يثبت السائل نقاطاً هامة، وهي أن كثيراً من كبار المصنفين والأعلام في الطائفة لم يأتوا على ذكر أبي سعيد ميمون بن القاسم الطبراني، وبعض هؤلاء كانوا في عصره. ومن تلك المصنفات التي أهملت ذكره: حقائق أسرار الدين، حجة العارف، الأصيفر،..... الخ.

كذلك أهمل ذكره: منتجب الدين العاني- الشيرازي (صاحب التنبيه)- البغدادي (صاحب المصرية)- والمكزون السنجاري..

قال الشيخ في الجواب:

(إن معظم المثقفين والسلف يعرفون أنه لولا خلاف أبي سعيد مع أبي ذهيبة، لما سمع أحد بأبي سعيد. مع أن أبا سعيد ليس من الخصيبيين أساساً..).

(١) الحيوان ٦/٥٧٤.

أقول: هذا الحكم فيه ظلم لأبي سعيد، بغض النظر عن تقييم مؤلفاته، لكننا نتحدث عن رجل له عدد لا بأس به من المصنفات، منها: «البحث والدلالة عن مشكل الرسالة» و«النجحية» و«النعمانية» و«مجموع الأعياد» و«الدلائل» و«المعارف».. وغير ذلك.

وأكثر تلك المصنفات لا علاقة له بالصراع مع خصمه أبي ذهيبة، فكيف يطلق القول هنا بأن أبا ذهيبة سبب معرفة رجال الطائفة بأبي سعيد!

ملاحظات على كلمة الشيخ في خاتمة الكتاب

١ - يعبر الشيخ عن امتعاضه من فكرة النقد في الطائفة، ونشر ما سماه (الأخطاء). ثم تساءل: ألا يؤدي هذا إلى نتيجة سلبية، كأن يقول المثقفون وغيرهم: ما هذا الاعتقاد؟ وما هذه الطريقة؟ فيحجموا ويتقاعسوا عن الالتحاق بها، ولن يبقى غير المستغلين للطريقة من أجل المال والجاه والتسلط؟

أقول:

أولاً: تجاهل المرض يؤدي إلى تفاقمه، والمثقفون وغيرهم يقرؤون كتب الطائفة، وتثار لديهم الأسئلة بشكل تلقائي. بعضها يُقمع من داخل الإنسان بسلطان التقليد الأعمى والخوف من المجهول، والخوف من السباحة ضد التيار، يقوي هذه المخاوف ضعف عام في الثقافة الإسلامية العامة، والثقافة الخاصة، وخمول فكري يصبغ طباع الأكثرية من الناس في جميع المذاهب، وعند الفرق الباطنة أكثر لطبيعة مرجعيتها. ولهذا ترى البوذي يبقى بوذياً، والوثني وثنياً، والشيعي شيعياً.. ولا عبرة بالاستثناءات.

هناك أيضاً القمع الخارجي من مشايخ ومتنفذين عبر أساليب متنوعة، والتخويف والتحذير من الشك أولها، والشك شرك وكفر، و (رحم الله شيعتنا فإنهم أهل تسليم)، ولكن تسليم بماذا؟ هنا الخدعة الكبرى.

كما أن المجاهرة برفض فلسفات الغُرف المسامة (باطن) تعني الانسلاخ الاجتماعي، وهذا الانتماء هو المغناطيس الخفي الذي يشد الناس إلى بؤرة التمذهب. ولم ينس المشايخ بطبيعة الحال أن يجعلوا جيوب الأتباع محوراً أساسياً وجوهرياً في الالتزام بمنهج العادات والتقاليد.

لذلك أرى أن مناخ الحرية الفكرية الذي يعطي للحوار والسؤال والاعتراض والنقد أفقهُ إلى آخر مدى؛ هو الذي يخرج الحق من خاصرة الباطل. وهذا المناخ هو الذي يحقق قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾[1].

إن القرآن الكريم يُعلِّم الناس الثقة بالمنهج حين تكون له مرجعيته الصحيحة. هذه الثقة نراها في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.

ونراها في قول أمير المؤمنين: سلوني.

هل تريد أيها الشيخ إذاً أتباعاً من الأغنام، أم من أصحاب العقول؟

٢ - يهاجم الشيخ من أسماهم (المتشككين) في الطائفة، وتمنى لو أنهم التزموا بما عليه (الشيعة) الذين أعطوا للإمام علي من المراتب ما تفوق مراتب المخلوقين!

وقال: (نحن المقتدون بالخصيبي لا نفعل هذا؛ لأن بعضنا يحصر الذات بالصورة).

أقول له: ومن أخبرك أن هذا يسعد الإمام علياً أن تجعله فوق مرتبة المخلوقين؟! وهل أصبح علي تابعاً لكم ولهم حتى تُعلّقوا على صدره ما شئتم من أوسمة، فينصرف مزهواً فخوراً؟ أم أنتم أتباعه ومواليه؟ لماذا لا تقفون عند ما وقف عنده، وتأخذوا الحق من فيه؟

---

(١) سورة الرعد الآية ١٧.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣.

لقد أبى على أحد أصحابه مجرد الثناء عليـه، وقـال: (كرهـت أن يكـون جال في ظنكم أني أحب الإطراء واستماع الثناء – ولست بحمد الله كذلك – ولو كنت أحب أن يقال ذلك لتركته انحطاطاً لله سبحانه عن تناول مـا هـو أحق به من العظمة والكبرياء.. الخ)[١].

وقال في هذه الخطبة ما أرجو أن لا يمر عليه الشيخ صفحاً وتأويلاً، كـما يمر عليه كثير من الشيعة الـذين أصـبحوا هـم المرجـع في معرفـة عـلي عليه السلام، وليس علي نفسه! يقول:

(..فلا تثنوا علي بجميل ثناء لإخراجي نفسي إلى الله وإليكم من التقية في حقوق لم أفرغ من أدائها.. فلا تكلموني بما تكلم بـه الجبـابرة، ولا تتحفظـوا مني بما يتحفظ به عند أهل البـادرة، ولا تخـالطوني بالمـصانعة، ولا تظنـوا بي استثقالاً في حق قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي.. فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي، إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني، فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره..)[٢].

أقول: من يجرؤ بعد شهادة الإمام تلك في نفسه أن يُزَوِّرَ مرتبة لـه فـوق مراتب المخلوقين؟!

من ذا يدلنا على علي عليه السلام بأجلى من هذا البيان؟

٣- هـاجم الـذين ادعـوا التمـسك بكتـاب الله، ورفـضوا أحاديـث النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وشَـبَّهَ مـوقفهم بموقـف مـن قـال في حـضرة النبي صلى الله عليه وآله على فراش موته عندما طلب منهم كتفاً ودواة ليكتـب وصـيته فقالوا: حسبنا كتاب الله[٣].. وأضاف: (يتـشنجون لمجـرد ورود نـصوص لا

(١) نهج البلاغة الخطبة ٢١٦.
(٢) نهج البلاغة الخطبة ٢١٦.
(٣) صحيح البخاري ج١ كتاب العلم ح١١٤ ص٥٣.

يتقبلونها بعقولهم ولا يستسيغونها بأذواقهم..) واستشهد الشيخ بأكثر من آية على أن مهمة النبي ﷺ تبيان ما نزل من الكتاب، ومنها: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1]، ثم قال مُعَقِّباً: (الغرض من بعثته أن يبين للمؤمنين ما في الكتاب من وقائع ظاهرة وباطنة..)

أقول: تشبيهك موقف من يرد حديثاً في هذا العصر بموقف من رد على النبي ﷺ في عصره فيه ظلم كبير؛ فرد الحديث الآن هو طاعة للنبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام حيث أمروا أن يُعْرَضَ حديثهم على القرآن، وفي حال المخالفة يضرب به عرض الحائط لقول الإمام الصادق عليه السلام: إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله ﷺ وإلا فالذي جاءكم به أولى به[2].

وقال رسول الله ﷺ: إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه[3].

هناك معايير عقلية ولغوية وشرعية لرفض الحديث وقبوله، وليس مزاجاً كما ذكرت. كما يفيد أمرهم ذلك تأكيداً وتبصيراً مسبقاً للمسلمين بكثرة الموضوع والمنحول من الحديث.

ولا أعلم كيف تعود هنا لتؤكد ما نفيته من تبليغ الرسول للباطن، ومدار الخلاف كله حول ذلك.

٣- ذكر قول الإمام علي عليه السلام لابن عباس عندما أرسله إلى الخوارج: (لا تخاصمهم بالقرآن؛ فإن القرآن حمال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسُّنَّة..)[4].

---

(١) سورة النحل الآية ٤٤.

(٢) الكافي ج١ باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب الحديث ٢.

(٣) الكافي ج١ باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب الحديث ١.

(٤) نهج البلاغة الكتاب ٧٧.

ذكر الشيخ هذا القول المجمل، ولم يفسر شيئاً منه؛ فظاهر العبارة أن يترك ابن عباس الاحتجاج بالقرآن، ويحتج بالسنة. فما معنى ذلك؟

أندع قول الله تعالى في المنازعات، وندلي بقول رسوله صلى الله عليه وآله فحسب؟ من يقبل هذا؟

وكيف يكون قول الله حمالاً ذا وجوه، ولا يكون قول رسوله كذلك؟

وإذا بطل الاحتجاج بالقرآن لِفَضِّ خلاف، فلماذا أنزل؟ وأين وجه الحق في تلك الوجوه؟ وهل ترك الإمام قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ..﴾[1]. وهو الذي شرح الآية بقوله: (الرد إلى الله الأخذ بمحكَم كتابه، والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة..)[2].

وإذا كان محكم الكتاب (حمالاً ذا وجوه)، فما الفرق بين المحكم والمتشابه؟!

كيف يكون الاحتجاج بالسنة (الحديث)، وهو لم يُنقل إلا بالمعنى، وقد كثرت الكذابة فيه على النبي صلى الله عليه وآله؟ حتى في نهج البلاغة يشهد الإمام أن الحديث المكذوب شاع بين الناس، بالإضافة إلى ما نقله بعض الصحابة من وهم وغلط غير متعمد كما صرح الإمام علي عليه السلام بقوله: إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كُذِب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتى قام في الناس خطيباً فقال: أيها الناس قد كثرت عليّ الكِذابة فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ثم كُذِب عليه من بعده....الخ[3].

وبعد كل ذلك كيف يكون الاحتجاج به قاطعاً؟!

---

(١) سورة النساء الآية ٥٩.

(٢) نهج البلاغة الكتاب٥٣.

(٣) الكافي ج١ باب اختلاف الحديث ح١.

أقول:

القرآن حمال ذو وجوه؛ لأنه كلام (قول)، وكل قول يحتمل للقائل فيه مقال عند المخاصم والمجادل، وسنة النبي ﷺ -بمعنى القول- أكثر احتمالاً لوجوه الرأي والاختلاف من القرآن، للأسباب التي ذكرتها. فالذي قصده الإمام من السنة هو معناها اللغوي والشرعي الذي كان على أصله، وهو: الطريقة في العمل، أي (السنة العملية)، وليس (السنة القولية). فهو قد طلب من ابن عباس أن يُذكر للخوارج ما فعل النبي ﷺ، وليس ما قال.. ولذلك أكد بقوله: (فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً).. ولو كانت المسألة مسألة أقوال النبي ﷺ لوجدوا ألف محيص عنها، كما يجدونه في أي قول ولو كان قرآناً.

وأنا أحيلك إلى ما جاء في معنى السنة في القرآن الكريم، وفي أقوال النبي ﷺ، فستجدها سلوكاً وعملاً وطريقة مختطة، وليست أقوالاً. فمن القرآن: ﴿وَلَوْ قاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً * سُنَّةَ اللهِ..﴾[1].

ومن الحديث قول النبي ﷺ: (أما أنا فأصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء ومن رغب عن سنتي فليس مني)[2].

وإلى الآن ما زال المسلمون مختلفين في تفسير أقوال النبي ﷺ، وقد وجدوا المحيص عن الالتزام بفحواها، وكل يدعي الفهم الصحيح. سأعطيك بعض الأمثلة:

أ- حديث الغدير: (من كنت مولاه فهذا علي مولاه..الخ)[3] فسر السنة المولى بأنه الناصر والمحب؛ وفسر الشيعة المولى في هذا المقام بأنه الأولى بالشيء.

(١) سورة الفتح الآية ٢٣.

(٢) مسند أحمد ٢١/٢٧٣.

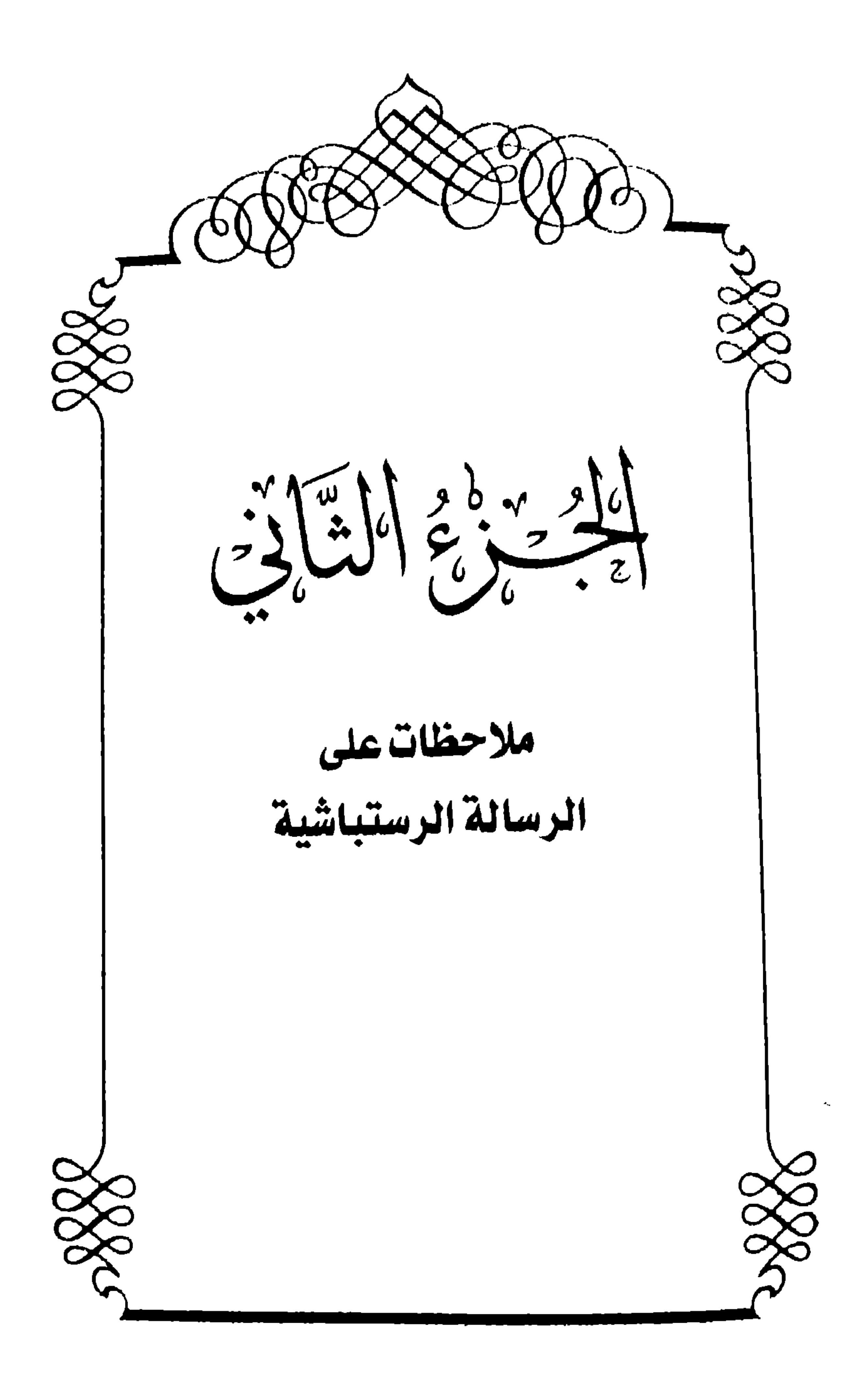
(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج٥ ص٢١٠ - موسوعة الغدير في الكتاب والسنة ج١ ص١٦٦ حتى ١٨٤.

ب - حديث: (لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد): فسره بعضهم على لفظه، وعامة الأمة فسرته بتأكيد الاستحباب، وليس ببطلان صلاة الفرد في بيته إذا كان جاراً للمسجد.

ج - اقرأ ما كتبه الطوسي في كتاب «الاستبصار فيما اختلف فيه من الأخبار»، فإنه عندما يخالف الحديث ما عليه المذهب يقول الطوسي: إن الإمام قال ذلك للتقية..فالمحيص موجود دائماً على مستوى القول أياً كان المنسوب إليه.

٤ - أخيراً أرجو أن يكون فيما قاله عن (وجوب تناول الباطن بطريقة علمية صحيحة ذات قواعد وضوابط قرآنية لغوية)، قاسماً مشتركاً بيننا إذا تم الإخلاص لهذه القاعدة.

والحمد لله أولاً وآخراً



الجزء الثاني

ملاحظات على
الرسالة الرستباشية

الملاحظة الأولى:

تفسير آية: ﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً..﴾[1]

في بداية الرسالة ذكر مؤلف الرسالة المعنى والاسم؛ فقال: إن المعنى المحدِث (بكسر الدال)، والاسم (مُحدَث) بفتح الدال.. وأنه لا واسطة ولا حجاب ولا كون ولا حدوث ولا فرق ولا فاصلة أو واسطة بين المعنى والاسم، ولو كان بينهما فرق أو فاصلة أو واسطة لكان شخصاً، ولكان غير الميم.

بعد هذه المقدمة التي يثبت فيها أن لا فرق بين الاسم والمعنى، ولو كان ثمة فرق لكان شخصاً -أي بشراً مخلوقا- ولكان غير الميم. بعدها يسأل ويقول: (إذا احتج علينا محتج بقوله تعالى: ﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ﴾. فكيف خاطب المعنى الاسم في هذه الوجوه الثلاثة؟)

١ - هذا السؤال مقحم إقحاماً في المسألة هنا، وهو في غير مكانه؛ لأنه لا يدور حول الفكرة التي أُسس لها، وهي أنه لا فرق ولا فاصلة بين المعنى والاسم. بل إن الاسم غير مخلوق كما ذكر في الرسالة نفسها لاحقاً. أما الآية فتتحدث عن طرق خطاب الله للبشر، والاسم ليس من البشر، فما علاقة هذا بذاك؟ وكيف يخطر لي أو لغيري أن نسأله هنا: بأي طريقة من تلك الطرق الثلاث يخاطب المعنى اسمه؟

٢ - كيف فسر المؤلف معنى الآية؟

[١]: تفسيره لمعنى الوحي

شرح معنى (الوحي) في قوله تعالى: ﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً..﴾ بأنه الكلام المباشر بلا واسطة بين الله والبشر!

---

(١) سورة الشورى الآية ٥١.

واستدل على ذلك بعدة آيات من القرآن الكريم، أولها قوله تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾[1]، وقال: إن الوحي هنا الكلام. ومنها قوله تعالى في قصة زكريا‌ﷺ: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾[2]، وقال: كان وحيه إيماء وإشارة لئلا يخالف ما أمر به من ألا يتكلم..وكما أوضح في مكان آخر من الرسالة: (فكان الوحي بيده وعينه وحاجبيه لا بلسانه ونطقه).

واستشهد كذلك بقوله تعالى في خبر المعراج: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾[3]، وقال: فكان وحيه إليه خطابه له وكلامه إياه بلا واسطة.

وجاء بشاهد رابع من قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾[4]، وقال: فتكريره التكليم هو بلا واسطة..

مناقشة:

أولاً:

أن المؤلف لم يشرح دلالة التركيب اللغوي في بداية الآية، وهو: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ..﴾. ولماذا جاء بهذه الصيغة؟

للإيضاح: هذه الصيغة لا تعني مجرد الإخبار، بل معناها: لا يصح ولا ينبغي لبشر أن يكلمه الله إلا..

فالمعنى وفق ما أورده المؤلف: لا يصح أن يكلم الله بشراً إلا خطاباً مباشراً أو من قدام الحجاب (وليس من خلفه) أو يرسل الرسول..

أي: لا يصح الكلام إلا بهذا.. لا يصح وجود حجاب بين الله وبين من يكلمه.. يجب أن يكون الحجاب خلف المتكلم وهو الله!!

وهذا المعنى ظاهر الفساد.

---

(١) سورة الأنعام الآية ١١٢.

(٢) سورة مريم الآية ١١.

(٣) سورة النجم الآية ١٠.

(٤) سورة النساء الآية ١٦٤.

ثانياً:

قوله إن الوحي كلام مباشر بلا واسطة، واستدلاله بآيات من القرآن أعرض لها بالمناقشة كما رتبها:

١- ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾، ليس كلاماً مباشراً!. الوحي: هو إعلام بخفاء، قد يكون إلهاماً في النفس، أو بالإشارة بجارحة، أو وسوسة، أو بواسطة رسول. فإيحاء زخرف القول غير تعبير: يقول بعضهم لبعض زخرف القول. فالإيحاء مقدمة للقول. إنه الدافع والمحرض والملهم. إنه الجو النفسي والأخلاقي الذي يصوغ القول. وهذا ما أوضحته آية أخرى بالقول: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ..﴾[1]. الشيطان لم يتحدث إلى وليه حديثاً مباشراً بلُغته. إنها وسوسة خفية لا تظهر على السطح، ولولا ما أخبر به القرآن من ذلك ما اهتدى الإنسان إلى معرفته.

ومنه إيحاء الله إلى النحل: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ..﴾[2]

وإيحاؤه إلى أم موسى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ..﴾[3] فهو في النحل إلهام وإيجاد في التكوين، وعند أم موسى إلهام وقذف في القلب، وليس كلاماً دون واسطة كما فسره صاحب الرسالة.

٢- استشهد كذلك بآية: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾، للدلالة على الخطاب المباشر. وهذه الآية لا تخدم فكرته؛ فالنبي زكرياﷺ لم يقل شيئاً هنا، بل أوصل كلامه إليهم عن طريق الإيماء والإشارة، وهو ما ذكره المؤلف صراحة. وربما يؤدى كذلك عن طريق الرسم مثلاً أو الكتابة. المهم أن الوحي منه لم يتم بخطاب مباشر.

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٢١.

(٢) سورة النحل الآية ٦٨.

(٣) سورة القصص الآية ٧.

٣- استدل بآية: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيماً﴾، على ما أراد من عدم وجود واسطة في الخطاب الإلهي لنبيه.

أقول: هذه الآية تعرض على الآية السابقة؛ لأنها تفصل طرق التكليم، والمسألة واضحة، فكلام الله للنبي موسىعليه السلام لا يخرج عما قرره سبحانه من قوله: ﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ.. الخ﴾.

[٢]: تفسيره لمعنى (الوراء:

في قوله تعالى: ﴿.. أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ..﴾. قال: الوراء قدام. وجاء بأمثلة صحيحة من كتاب الله على أن معنى الوراء فيها هو: قدام، وليس: خلف. منها: ﴿وَكانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾[١]..

مناقشة الرأي:

١- لماذا لم يذكر المؤلف الآيات الأخرى التي فيها الوراء بمعنى (الخلف)؟ مثل قوله تعالى: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ كِتابَ اللهِ وَراءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[٢]

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾[٣]

وقوله: ﴿لا يُقاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاَّ فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَراءِ جُدُرٍ﴾[٤]

وقوله: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَراءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾[٥]

وكثير غيرها.

ولماذا لم يقل للقارئ والمتعلم: لماذا جاءت الوراء مرة بمعنى قدام، ومرة بمعنى الخلف؟

---

(١) سورة الكهف الآية ٧٩.
(٢) سورة البقرة الآية ١٠١.
(٣) سورة الحجرات الآية ٤.
(٤) سورة الحشر الآية ١٤.
(٥) سورة الحديد الآية ١٣.

أصل كلمة الوراء من التواري، وهو الستر والتغطية، فقد يكون الشيء قدامك ولكنه غير مرئي ولا مدرك فيسمى وراء، كما في الآية: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾[1] أو في قوله: ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾[2].

وقد يكون الشيء من خلف وقد سُتِر بِعِلَّةٍ مما سبق أو غيرها فيسمى وراء، كما في قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ..﴾[3].

وقد يكون الوراء بمعنى كل ما ستر عن الذكر في الكلام، مثل قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ﴾[4]. فحيث أحل الله ما ذكر من الأزواج أو ملك اليمين، أصبح كل ما طوي ذكره مشمولاً بمعنى الوراء.. وقد يكون في الذرية كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾، قال الشعبي: الوراء هنا الولد[5].

يشمل الوراء إذاً: ما كان طي المستقبل أو طي المكان أو طي الذكر.

السياق وحده هو الذي يحدد المعنى، أما اللفظة المفردة فتحتمل عدة معان. ومن هنا يصبح من الخداع أن نأتي بأحدها ونقدمه للقارئ، ونقول له: هذه لغتك، والله أراد كذا من المعنى، ونجعل المعنى الآخر للوراء (وراء) ظهورنا!

٢- إذاً ما معنى الوراء في قوله: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾؟ أيكون معنى الآية: لا يصح لبشر أن يكلمه الله إلا من قدام الحجاب؟! فلماذا الحجاب إذا كان قد أصبح من خلف المتكلم؟ وهل معنى قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾، أن تجعل زوجة الرسول ﷺ حجابها خلفها ثم تكلمهم سافرة؟ لم يقل بذلك أحد، وإلا كان سخرية العقول.

(١) سورة الكهف الآية ٧٩.

(٢) سورة الجاثية الآية ١٠.

(٣) سورة الانشقاق الآية ١٠.

(٤) سورة المؤمنون الآية ٧.

(٥) لسان العرب ج٩ مادة وراء ص١٩٨-١٩٩.

٣- أخيراً: فسر قوله تعالى ﴿مِنْ وَراءِ حِجابٍ﴾، بأن الحجاب هو الاسم!

هذا من عجائب الرستباشية! لأن السؤال كان في البداية من المؤلف: كيف خاطب المعنى اسمه؟ فأجاب: خاطبه وحياً، وخاطبه من وراء حجاب- من قدامه..أي كان الحجاب خلفه تعالى عندما خاطب اسمه. فكيف يكون الحجاب هو الاسم؟ لا شك أنها من الأحاجي الكثيرة التي تحفل بها تلك المصنفات التي يسألون عنها، ولكنهم لا يسألون فيها.

ثانياً:

قوله إن (كل الكلام والقول المنزل المثبت في الكتب كلها فهو كلام الاسم، وقوله ووحيه).

كلام الله في القرآن وغيره من الكتب السماوية هو كلام الاسم.. قول محمد النبي الرسول ﷺ وليس قول المعنى!

أدلته على ذلك:

١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ..﴾[1].

٢ - وقوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ﴾[2]، فالمُرْسِلُ هو الرسول، والذين أرسلهم من دونه هم السبعة عشر شخصاً المنبأون في كتاب الله الذين يقع عليهم الخطاب من الاسم ويظن الناس أن الخطاب واقع من المعنى على الاسم. وهم: زيد بن حارثة.. الخ

وقال: (إن النهي واللوم في القرآن الذي يخاطب به النبي ﷺ مثل قوله: ﴿فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[3]. ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[4]. ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً

(١) سورة الحاقة الآية ٤٠.

(٢) سورة الشورى الآية ٥١.

(٣) سورة البقرة الآية ١٤٧.

(٤) سورة الزمر الآية ٦٥.

فآوى * وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدى * وَوَجَدَكَ عائِلاً فَأَغْنى﴾[1]. ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ﴾[2]. ﴿وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[3]. ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ..﴾[4]..

قال: (وآي القرآن مثل هذا كثير وهو خطاب الاسم لمن دونه من السبعة عشر المنبأين المسمين في هذا الكتاب الذين أرسلهم الرسول فاستحقوا بما اكتسبوه هذا الخطاب والذم والتحذير والتخويف ومن عقل عن مولاه وعرف حقيقة التنزيل والتأويل لم ينسب هذه الآيات التي ذكرناها ونظائرها إلى الاسم وهو يجد في الكتاب ما يباينها ويناقضها ويغرق بين الخطابين).

خلاصة الكلام المنسوب إلى الشيخ الخصيبي هنا أن المعنى أرسل الاسم أو بعثه في هذه الأمة للمهمة التي أرادها، فأوحى الاسم (محمد) بالقرآن إلى السبعة عشر منبأ، ليقوموا هم بأداء الرسالة، وتبليغ فحوى القرآن للناس!

أقول:

إذا كانت كل تلك الآيات التي ذكرها -والتي لم يذكرها- تخاطب المنبأين السبعة عشر، فأي واحد منهم هو المقصود في تلك الخطابات المفردة؟ مثل: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ..﴾[5]. هل هو زيد بن حارثة؟ أم عمار بن ياسر؟ أم غيرهما؟

- ﴿إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ..﴾[6]. هل أعطى محمد واحداً من المنبأين الكوثر؟ ومن هو؟

- ﴿وَإِنْ يَكادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصارِهِمْ..﴾[7]. من هو إن لم يكن النبي نفسه؟!

---

(١) سورة الضحى الآية ٦.
(٢) سورة الإسراء الآية ٢٩.
(٣) سورة الإسراء الآية ٣٦.
(٤) سورة الحجر الآية ٨٨.
(٥) سورة يونس الآية ٩٤.
(٦) سورة الكوثر الآية ١.
(٧) سورة القلم الآية ٥١.

ستلاحظ –بناء على كلام الرستباشية أن المشركين لم يكن لهم هم ولا شغل إلا أن يكيدوا لواحد من المنبأين، ولنفترض أنه زيد – ولم يكونوا معنيين أبداً بمواجهة النبي محمد ومحاولة التخلص منه، واتهامه بشتى التهم.. فكل ذلك وفق الرستباشية كان موجهاً إلى زيد!

ماذا يعني زيد في نهاية الأمر للمشركين؟ هل علموا أنه المخاطب بآيات القرآن هو وستة عشر آخرين فوجهوا سهامهم إليه؟ لماذا لم يحدثنا التاريخ بهذا وحصر علمه بالخصيبية، وكأننا نقرأ تاريخاً آخر لا علاقة له بكل ما عرفناه؟

إذاً لم تكن هناك مواجهة بين النبي ﷺ وقومه. حادثة الطائف ورمي القاذورات على النبي ﷺ. سخريتهم منه وتقليد حركاته. شتمه. اتهامه بالجنون. محاولة قتله وسمه.. كل ذلك وقع على زيد؟!

والآيات التي تأمر النبي بالصبر: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ﴾[1] هل المقصود بها زيد؟

وإذا كان الاسم (محمد) هو قائل القرآن وموحيه، فهل هو الذي أرسل نوحاً إلى قومه كما تقول الآية: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ﴾[2]؟ يعني أرسل نفسه؟!

ومن الذي يقول: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾[3]؟ ومن المخاطب؟ هل يقول الاسم لزيد: قل أوحي إلي؟

ومن قال وإلى من وجه الخطاب في قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ ما يُوحى إِلَيْكَ وَضائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جاءَ مَعَهُ

(١) سورة القلم الآية ٤٨.
(٢) سورة نوح الآية ١.
(٣) سورة الجن الآية ١.

مَلَكٌ..﴾[1]؟ وهل كانوا يقولون: لماذا لم ينزل على زيد كنز أو لم يأت معه ملك؟!-

ووفق تفسير الرستباشية يكون (طه) أحد المنبأين أولئك في قوله: ﴿طه * ما أَنزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى﴾[2]!

وهو زيد في قوله تعالى: ﴿وَما أَنزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ..﴾[3]!!

فهل قام زيد بالمهمة، وهي تبيان الكتاب، وتعليم الناس كيفية الصلاة والصيام ومناسك الحج؟ وبالتالي يجب أن يعلم الناس عامة أن زيداً هو المنبأ ليسألوه عن دينهم فيفقههم فيه بمعاونة إخوته الستة عشر الآخرين. فأين سنة زيد وأحاديثه؟ هل اختفت وتبخرت من كتب السنة والشيعة على السواء؟ أين هي إذاً في كتب الطائفة الخصيبية؟ المفروض والحال هذه أن يكون هناك أحاديث فقهية يتوارثونها ويتداولونها في (سنة) زيد وسيرته.

وإذا كان علينا أن نفسر (النبي) في القرآن بأنه زيد، أو سواه من المنبأين فكيف نفسر آيات مثل: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلى بَعْضِ أَزْواجِهِ حَدِيثاً..﴾[4].

وقوله في سياق الآيات: ﴿وَإِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[5]. وقوله: ﴿عَسى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَيْراً مِنْكُنَّ..﴾[6]. فمن المعني عند هؤلاء هنا؟ وقد اتفق المفسرون على أن رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ هو المخاطب. فإن أذعنوا وقالوا إن الآية تعني

(١) سورة هود الآية ١٢.
(٢) سورة طه الآيات ١-٢.
(٣) سورة النحل الآية ٦٤.
(٤) سورة التحريم الآية ٣.
(٥) سورة التحريم الآية ٤.
(٦) سورة التحريم الآية ٥.

النبي محمداً، فقد أقروا إذاً أنهم يطلقون كلمة النبي على كل هؤلاء، وفي ذلك إسقاط لحجية القرآن، وتلاعب بلغته.

وكيف تصح دعوى مؤلف الرسالة في ذلك مع قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ..﴾(١)؟

آمنوا بما نزل على محمد، وليس بما كتبه وأوحاه إلى المنبأين.

دع كل ما سبق. من صاحب هذا القول: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾(٢)؟ فهل النبي -مؤلف القرآن- يخاطب زيداً، ويقول له: لما قضى زَيد وطراً من فلانة زوجناك منها؟ أم يقول لمنبأ آخر تزوج من امرأة زيد بعد أن طلقها؟ أفتونا في هذا إن كنتم تريدون أن تضربوا عرض الحائط بكل مُسَلّمات التاريخ، بل بالقرآن- من أجل كتاب اعترفتم وقلتم إن فيه دساً كثيراً!

على أنه من المهم التذكير هنا أن أبا سعيد لم يقبل بأن يكون الخطاب في تلك الآيات للمنبأين، كما ذكرت الرستباشية، وقال إن المنبأين من عالم النور لا يقعون في المعصية، ولا يجري عليهم اللوم والذم، فالمخاطب في الحقيقة هم نحن البشر الخطاؤون!!

طبعاً لن يعدم المؤولون وسيلة ما لتلفيق مخرج من هذه الأحاجي، كالإدلاء بمبدأ: «إياكِ أعني واسمعي يا جارة». فهذا المثل العربي هو قارب النجاة لمن عصفت بهم ريح الآيات المحكمة.

(١) سورة محمد الآية ٢.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٧.

الملاحظة الثانية:

أدلة الرستباشية على قِدَم الاسم:

أدلى المؤلف بشواهد من القرآن زعم أنها أدلة على قِدَمِ الاسم وأنه هو صاحب الرسالة والكتب السابقة.

دليله الأول:

قال: مما يدل على قدمه قوله تعالى: ﴿هذا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولى﴾[1]..

أقول: هو منهم لأن المهمة واحدة: ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾[2].

ولم يقل تعالى إن هذا النبي هو الأول والآخر من النذر كما يقولون، وجمع كلمة النذير يشهد بهذا المعنى على أنهم متغايرون في أعيانهم.

ومن أدلته على قدم الاسم كذلك قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِي قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[3]. قال: فأخذ ميثاق النبيين للاسم ولم يأخذ عليه ميثاقاً لغيره.

أقول:

من الطبيعي والمنطقي وبحكم العقل أولاً أن يأخذ عليهم الميثاق له، ولا يأخذ عليه الميثاق لهم؛ لأنه يؤخذ الميثاق من السابق للاحق، ولا يؤخذ من اللاحق للسابق!

والمفهوم من السياق أن المراد بالميثاق: الأنبياء وأممهم؛ فحين يأخذ العهد على النبي المتبوع بمناصرة النبي الآخر والإيمان به إن ظهر، فقد أخذ حتماً

(١) سورة النجم الآية ٥٦.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٨٥.

(٣) سورة آل عمران الآية ٨١.

ذلك على التابع. وقد تضافرت الأدلة على الإيمان بالنبي من الكتب السابقة والتبشير به، وأخبر القرآن بذلك. ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَالإِنْجِيلِ﴾(١).

وقوله على لسان المسيح عليه السلام: ﴿مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾(٢)

وما يجب على الآخر تجاه الأوائل مقابل ذلك أن يعلن تصديق كتبهم. وهذا ما أعلنه النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾(٣).

هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يكتب؟

جاءت الرستباشية بآية من كتاب الله تنفي حصول التلاوة والكتابة من النبي قبل القرآن، وهي قوله تعالى: ﴿وَما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتابَ الْمُبْطِلُونَ﴾(٤).

قالت الرستباشية: (والشاهد أنه يكتب آية ﴿وَقالُوا أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾(٥). فقوله: ﴿فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ﴾، دليل على أن الإملاء لا يكون إلاَّ على كاتب ولم يقل كتبت له)!!

ما تزال الرستباشية تثير العجب في كل مفصل من مفاصلها؛ فالمؤلف أورد الشاهد الصريح ضده من القرآن، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقرأ ولا يكتب، ولكنه مع ذلك يريد أن يثبت تلك الفكرة التي شَكَّلَها من خارج القرآن، وهي أنه يكتب، فلم يجد أمامه إلا الآية التي أوردها ثانياً، وهي: ﴿وَقالُوا أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها..﴾، ليجعلها دليلاً!

(١) سورة الأعراف الآية ٥٧.
(٢) سورة الصف الآية ٦.
(٣) سورة المائدة الآية ٤٨.
(٤) سورة العنكبوت الآية ٤٨.
(٥) سورة الفرقان الآية ٥.

جاء بمحكم قول الله أولاً أن النبي ﷺ لم يكن يكتب، وجاء ثانياً بقول الكفار أنه كان يكتب، فاختار قولهم على قول الله وتبناه!!

أكاذيب الكفار والمشركين يجعلها المؤلف حقاً وصدقاً، ومرجعاً في الحكم!!

فانظر ماذا قالوا مما نقله القرآن: ﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَراهُ وَأَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جاؤُ ظُلْماً وَزُوراً * وَقالُوا أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً..﴾. فالقرآن نقل أكاذيبهم،

ومنها وصفهم القرآن بأنه إفك وأساطير منقولة مكتتبة بالإملاء على النبي ﷺ، وأن هذا الرجل (النبي) مسحور.. نقل كل ذلك ليعلم الناس بها وليفضحهم ويرد عليهم، ويقول إنهم جاؤوا ظلماً وزوراً. ولكن الرسالة تقول إن بعض ما قالوه حق، وإن النبي ﷺ يكتب!

هل رأيت أخي القارئ أعجب من تأكيد ما ينفيه القرآن، ومن إيراد ما عليه له؟ يقول المثل المولد: (من لم يرض بحكم موسى رضي بحكم فرعون).

دليله الثاني على قِدَمِ الاسم:

الطريقة التي استدل بها هنا لا تختلف عن استدلاله السابق؛ أي إنه يأتي بالشاهد الذي ينقض قوله ودعواه، ثم يحاول لوي عنق هذا الدليل المضاد ليتشكل لديه ما ربما يتوهمه دليلاً أو يوهم بعض من لا علم لهم بأبجديات اللغة العربية بأنه دليل وإليك الآيات التي أوردها كشاهد على أن الاسم كان حاضراً أيام الأنبياء الذين سبقوه:

١ - قوله تعالى: ﴿وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[1].

٢ - قوله تعالى: ﴿وَما كُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنا إِلى مُوسَى الأَمْرَ وَما كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران الآية ٤٤.

(٢) سورة القصص الآية ٤٤.

٣- قوله تعالى: ﴿وَما كُنْتَ ثاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتِنا وَلكِنّا كُنّا مُرْسِلِينَ * وَما كُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ إِذْ نادَيْنا وَلكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1]..

ثم قال: (وآي مثل ذلك وشواهد في القرآن كثيرة اختصرناها لئلا يطول الشرح بها).

إذاً الشواهد (معه) كثيرة جداً في القرآن الكريم، وإنما اختصر مخافة أن يطول الكتاب فيمل القارئ!!

تحويل الدليل المضاد المعارض إلى دليل موافق مؤكد، سهل جداً عند المؤلف، ويمكن تعليمه مباشرة لأي راغب؛ الطريقة هي الآتي: إذا كان لديك جملة تنفي الفعل فما عليك إلا أن تضع في نهايتها إشارة استفهام فينقلب معناها إلى إيجاب وتأكيد بدل النفي!!

مثلاً: الآية تقول: ﴿وَما أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾[2]. ومعناها نفي وكالة النبي على الناس؛ لأنه مجرد مبلغ. إذا أردت المعنى المعاكس تضع إشارة الاستفهام في نهاية الجملة، فتصبح: ((وما أنا عليكم بوكيل؟)) يعني هنا يصبح تساؤلاً باستغراب وإنكار: كيف تقولون إنني لست عليكم بوكيل؟! بلى أنا وكيل.. وهكذا..

هذا ما فعله واضع هذه الرسالة العجيبة!

قال بعد ذكر الآيات السابقة:

(فأما قوله: ﴿وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾، ليس هو قول جحد إنه لم يكن وإنما هو قول تذكير وإفهام أي إنك كنت وكتبت وتلوت وأُمْلِيَ عليك وأنذرت فأنت الشاهد عليهم).

---

(١) سورة القصص الآية ٤٥.

(٢) سورة يونس الآية ١٠٨.

فهل تتحمل اللغة العربية هذه الفوضى الخلاقة حقاً؟ وهل يمكن التلاعب بالألفاظ التي يقولها البشر، فضلاً عن القرآن الكريم الذي هو في أعلى سنام البلاغة؟

إن القرآن الكريم لا يُلَبِّسُ على الناس المعاني، فحيث يريد الاستفهام بأي معنى من معانيه يستخدم أداة الاستفهام، كقوله: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾(١)؟ فالهمزة هنا تعني إلغاء النفي وتحويل معنى الكلام إلى الإثبات، يعني: كانت الآيات تتلى. أما إذا جاء النفي دون أداة الاستفهام فهو على أصل معناه، كقوله: ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾(٢).

وقوله: ﴿وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾(٣).

الأمر الآخر في فهم أسلوب القرآن - وهو باللسان العربي - أنه لا يستخدم استفهام الإنكار -إن فرض هنا- إلا في الرد على شيء ينكره الناس أو قضية مغلوطة يتناقلونها، والقضية هنا غير مطروحة عند أحد، ولا يجري فيها الحديث أصلاً.

بمعنى أنه لا أحد من الناس كان يقول إن النبي ﷺ لم يكن في عهد نوح أو موسى.. لأنها ليست من قضايا المعقول حتى يتم تداولها، والعقل ينحي البدهيات فلا يتكلم بها. لا أحد يقول مثلاً إن النملة تتكلم بلسان عربي فصيح. لكن النقاش يتم في ما دون ذلك: هل للنملة لغة؟ وما هي؟

على أن القرآن الكريم كان يقول لرسول الله ﷺ في نهاية الآيات التي تتحدث عن قصص الأنبياء الذين سبقوه: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾(٤). أو: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ..﴾. وهذا دليل

(١) سورة المؤمنون الآية ١٠٥.
(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٩.
(٣) سورة النساء الآية ١٦٤.
(٤) سورة آل عمران الآية ٤٤.

قاطع على أنه لم يكن موجوداً، ولم يكن يعلم، لأنه كان غيباً بالنسبة له، حتى جاء الوحي فكشف منه ما شاء الله لنبيه ﷺ.

ولتقوية رأيه جاءت الرسالة بشاهد من القرآن هو قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾[1].

وقال في تفسير الآية: (فعند المقصرة والعامة أنه يأتي من كل أمة مضت شاهدها من الأنبياء والرسل يشهد عليها: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾ - يَعْنُون أمته - أي تشهد أنت على صدق أمتك كما يشهدون على أممهم وليس الشرح والتأويل ما قالوا، وإنما الشرح والتأويل: جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء الشهود شهيداً أنك أنذرت وبلغت أن الشهود أنذروا وبلغوا الأمم عنك فيشهدون، فالشهود هم السبعة عشر المنبأون، والإسم يشهد عليهم ويشهدون هم على الأمم وتشهد أنت على صدقهم في التبليغ عند الباري جلت قدرته، وأنهم كانوا من الذر الأول إلى القبة الهاشمية بغير هذه الأسماء والصفات في كل عصر وزمان).

إذاً، وفق تصور الرسالة، يكون المعنى كما يلي:

١- الشهود هم المنبأون السبعة عشر، وهم الأنبياء الذين أنذروا وبلغوا.

٢- سيأتي الله بهؤلاء ليشهدوا على أقوامهم.

٣- سيأتي بالشاهد وهو الاسم ليشهد على الشهود أيضاً.

هذا المعنى غير مراد حتماً، بدليل الآيات السابقة التي تنفي وجود النبي ﷺ في تلك العصور، وتنفي علمه بأي من تلك الأنباء قبل وحي القرآن بذلك.

وهنا ملاحظات:

---

(١) سورة النساء الآية ٤١.

الأولى: أنه لو صح ما قالته الرستباشية في تفسير قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا﴾[1] أن ذلك تأكيد على علم النبي ﷺ وليس نفياً، فإن المعنى يصبح أن قومه كذلك كانوا هناك وكانوا يعلمون بتلك الأنباء!!

الثانية: أن اسم الإشارة (هؤلاء) يستخدم للقريب، فقوله تعالى: ﴿وَجِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلى هؤُلاءِ﴾، يعني قومه الذين هو فيهم ومعهم. أما (أولئك) فللدلالة على البعد بمعانيه المختلفة.

الثالثة: سياق الآية في تتمتها يؤكد أنه شهيد على قومه، وهو قوله: ﴿.. يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً﴾[2]. فهذا هو موضوع شهادة النبي ﷺ، أن يتبين أنه بلغ الرسالة لقومه وما كتمهم شيئاً، وأن الحجة قامت عليهم بذلك، حتى يقول العصاة منهم ما ذكرته الآية..

الملاحظة الثالثة:

- الفرق بين الإدراك والإحاطة:

قال في الرستباشية: (فإن قال - قائل -: فما تقول في قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ﴾[3]. وقد كانت تلك الصورة مدركة معاينة. **قلنا له:** إن الإدراك هو الإحاطة، وليس الإدراك العيان والوجود.

هذا ما أورده. ومعناه كما لا يخفى: أن الأبصار تراه ولكن لا تحيط به.

هنا في الرد سأنقل ما كتبته في التفريق بين الإحاطة والإدراك مما رددت به على ما كتبه بعض علماء أهل السنة مما قد يتشابه مع ما ذكرته الرسالة من توهم المطابقة بين الإدراك والإحاطة لتلفيق عقيدة الرؤية!

---

(١) سورة هود الآية ٤٩.

(٢) سورة النساء الآية ٤٢.

(٣) سورة الأنعام الآية ١٠٣.

والفرق أن السنة يعتقدون برؤية الله في الآخرة، وصاحب الرسالة يعتقدها في الدنيا.

١- دلالة ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ﴾[1]:

جاء في شرح عقيدة محمد بن عبد الوهاب:

(تمسكوا بظاهر قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ﴾، قالوا: ﴿لا تُدْرِكُهُ﴾ يعني: لا تراه. والجواب أن يقال: ليس معنى: ﴿لا تُدْرِكُهُ﴾ أنها لا تراه، لكن معناه أنها لا تحيط به، والإدراك معناه: الإحاطة، والله لم يقل: لاتراه الأبصار، بل قال: ﴿لا تُدْرِكُهُ﴾، ونفي الإدراك لا يلزم منه نفي الرؤية، فقد يرى الإنسان الشيء ولا يدركه كله، فأنت مثلا، ترى الشمس، ولكن هل تدركها كلها؟ فما كل ما يرى يدرك كله، فالآية ليس فيها نفي الرؤية، بل فيها نفي الإدراك. يعني: وإن رأته فهي لا تدركه؛ لأن الله - جل وعلا - أعظم من كل شيء، فلا يحاط به جل وعلا، فليس في الآية دليل على نفي الرؤية، وإنما فيها نفي الإدراك فقط)[2].

أقول: لا أعلم عن أي معجم نقل ابن عبد الوهاب قوله إن الإدراك معناه الإحاطة؟ وهذا الخلط بين المصطلحات لا مبرر له، خاصة أن القرآن ذكر الإحاطة بمعنى، وذكر الإدراك بمعنى آخر.

٢- معنى الإدراك:

وإليك ما ذكره أئمة اللغة من معنى الإدراك:

قال ابن منظور في لسان العرب: (الدَّرْك: اللَّحاق والوصول إلى الشيء)[3].

وقال ابن فارس في مقاييس اللغة: (دَرَكَ) الدَّالُ وَالرَّاءُ وَالْكَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ لُحُوقُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ وَوُصُولُهُ إِلَيْهِ). وقال الزبيدي: (الدَّرَك،

(١) سورة الأنعام الآية ١٠٣.

(٢) شرح عقيدة محمد بن عبد الوهاب لصالح الفوزان ٩٥/١.

(٣) لسان العرب ج٣ مادة درك ص٢٥٢.

محركة، اللحاق) وقد أدركه إذا لحقه... إلى أن قال: وأدرك: بلغ علمه أقصى الشيء[1].

وهكذا في سائر المراجع اللغوية، وليس هناك قرب في المعنى مع الإحاطة، وسياق الآيات القرآنية يشهد بذلك، وإليك بعضاً منها:

أ- قوله تعالى لنبيه موسى: ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لا تَخَافُ دَرَكاً وَلا تَخْشى﴾[2]. فالمعنى واضح أن فرعون لن يصل إلى موسى وقومه، وليس معناه أنه لن يحيط بهم. ومعنى الإحاطة لا يناسب المقام هنا لأنه تعالى يريد أن ينزل السكينة في قلب نبيه، ونفي الإحاطة لا ينفي ما دونها من أسباب التخويف والأذى، كما أن معنى الإحاطة لا يتحقق واقعاً من قبل فرعون بسبب وجود الماء من جهة أخرى، فقوله: ﴿لا تَخَافُ دَرَكاً﴾: أي لا تخف وصول العدو بعد لحاقه بكم. ﴿وَلا تَخْشى﴾ معناه: لا تخشى الغرق[3].

ب- ومنه قوله تعالى في سياق قصة فرعون: ﴿حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ﴾[4]. ومعنى أدركه الغرق: وصل إليه، أي: بدأ يغرق. وليس المعنى كما قد يتبادر إلى الذهن أنه أحاط به، ولو كان كذلك لم يتمكن فرعون من أن يقول كلمة، أملاً في النجاة والحياة، ولكان الغرق بالإحاطة قد شمله وسد منافذ حواسه كلها.

والإدراك عامة يدل على حركة ثم وصول، ومن الشعر الذي يوضح هذا المعنى ما بعث به عثمان أثناء حصاره قوله لعلي بن أبي طالب عليه السلام:

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل ... وإلا فأدركني ولما أمزق[5]

(١) تاج العروس ج٢٧ مادة درك ص١٣٦ إلى ١٤٥.
(٢) سورة طه الآية ٧٧.
(٣) تاج العروس ج٢٧ مادة درك ص١٤٥.
(٤) سورة يونس الآية ٩٠.
(٥) تاريخ الإسلام للذهبي ٣/ ١٢٦.

٣- معنى الإحاطة:

قال ابن منظور: أحاط بالأمر إذا أحدق به من جوانبه كلها وقوله تعالى ﴿وَاللهُ مِنْ وَرائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ أي لا يعجزه أحد قدرته مشتملة عليهم"[1].

أما سياق الإحاطة في القرآن فمختلف، كما تلاحظ في الآيات التالية:

أ- ﴿إِنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ ناراً أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها﴾[2]. فلا يصح هنا أن يكون المعنى: أدركهم سرادقها، لما بين المعنيين من البون الشاسع، ولانتفاء معنى اللحاق أيضاً.

ب- ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾[3]. من التعبيرات القرآنية الدقيقة المعجزة، فالإحاطة بالثمر بصيغة المبني للمجهول تعطي من سعة المعنى وتنوع الدلالة ما لا تعطي صيغة أخرى لأي كلمة سواها. فماذا أحاط بذلك الثمر؟ هل هو غبار أم هي حرارة أم تجفاف أم رياح أم غير ذلك مما يعلمه بعض ويجهله بعض؟ فأفسد ذلك الثمر، فلم يكمل مسيره فتساقط، فأصبحت الجنة خاوية على عروشها.

هل تعطي لفظة: (أدرك) هذه البعد وهذا العمق؟

فالمعنى في قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ﴾. متحصل من الدلالة العامة لمعنى الإدراك التي توضحت؛ لأن البصر شأنه التقلب في ملكوت السموات والأرض، وهو يدل على حركة وتتبع ولحاق بالمرئيات، ولو رأته الأبصار لتضمن معنى ذلك الإدراك أيضاً.

وأي بلاغة في قولنا: إن الأبصار ترى الله ولا تحيط به؟ فنحن نرى السماء ولا نحيط بها، ونرى الكواكب ولانحيط بأي منها!

---

(١) لسان العرب ج٢ مادة حوط ص٥٥١.

(٢) سورة الكهف الآية ٢٩.

(٣) سورة الكهف الآية ٤٢.

وليس نفي الإدراك إثباتاً للرؤية كما زعم الشيخ صالح الفوزان؛ فقد يكون الشيء مدركاً غير مرئي كالهواء مثلاً، ويجري استعماله كذلك في أسماء المعاني كما تقول: أدركت ثأري من فلان. وقد يكون مرئياً غير مدرك، كما إذا كنت تجري وراء حافلة، فأنت تراها ولكنك لم تدركها.

الملاحظة الرابعة:

موسى وبنو إسرائيل وطلب الرؤية:

خصص صاحب الرستباشية فصلاً لمحاولة إثبات الرؤية لله سبحانه، فبدأ بهذه الآيات المتعلقة بخبر المعراج: ﴿ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى * أَفَتُمارُونَهُ عَلى ما يَرى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى * عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشى * ما زاغَ الْبَصَرُ وَما طَغى﴾[1]. وقال: (فَذِكْرُهُ للبصر يبطل قولكم أنه رآه بقلبه ولم يره بعينه).

أقول:

كيف وصل هنا إلى نتيجة أن البصر ينظر إلى الله؟ ليس في الآية أي ذكر أو حتى تلميح لذلك. بل أسقط الكاتب تتمة الآية لأنها تصرح بما رأى من الآيات، وليس من الذات: ﴿لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى﴾[2]! وهذا ما أكده أئمة أهل البيت عليهم السلام في تفسيرهم للآية، ومن ذلك ما قاله الإمام الرضا عليه السلام، حيث سألة «أبو قرة» عما رأى النبي صلى الله عليه وآله، فقال الإمام: (إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى؛ حيث قال: ﴿ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى﴾. يقول: ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وآله ما رأت عيناه، ثم أخبر بما رأت عيناه، فقال: ﴿لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى﴾. فآيات الله غير الله)[3].

---

(١) سورة النجم الآيات ١١-١٧.

(٢) سورة النجم الآية ١٨.

(٣) أصول الكافي ٢٦.

ثم جاء بالآيات المتعلقة بطلب الرؤية من موسى عليه السلام ومن قومه، وهي:

١- وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

من هذه الآيات، أنشأت الرستباشية حواراً بين الشيخ الخصيبي وبين شخص افتراضي، يسأله: لماذا طلبوا ذلك، ولماذا صعقوا إن كانوا محقين.. الخ، والخصيبي يجيب. وهذا عرض ومناقشة لتلك الأسئلة التي ذكرها:

* الخصيبي: هل كان قول بني إسرائيل هذا صواباً أم خطأ؟

- المحاور: خطأ؛.. لطلبهم من موسى ما لا يكون.

* يسأل الخصيبي: فَلِمَ بعثهم من بعد موتهم؟

المحاور: أماتهم عقوبة لهم، وأحياهم صفحاً عنهم.

*الخصيبي: إن السبعين هم اختيار موسى من قومه - واختيار موسى اختيار الله - لِمَ جهلوا وجاؤوا مع موسى حتى يروا الله وهم يعلمون أن الله لا يرى فأخذتهم الرجفة فماتوا فقال موسى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشاءُ﴾[2]. فموسى يقول: إن السفهاء من بني إسرائيل هم الذين قالوا لموسى ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾. فإن سلمنا لك.. فلِمَ أخطأ موسى وقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾[3].

فإن قلت: إن موسى أخطأ.. فلِمَ قال الله لموسى: ﴿لَنْ تَرانِي وَلكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ

---

(١) سورة البقرة الآية ٥٥.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٥.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٤٣.

مُوسى صَعِقاً فَلَمَّا أَفاقَ قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وحيث علم الله أن موسى لا يراه وهو أكبر خلقه عنده، لِمَ منعه رؤيته حتى يتجلى للجبل، وكل مُتَجَلٍّ مرئيٌ معاينٌ والمحتجبُ لا يرى حتى يتجلى؟

- المحاور: هذه شواهد صحيحة لا تجحد من الكتاب إلاَّ أني أريد أن تبين لي أمصيباً كان موسى والسبعون رجلاً وبنو إسرائيل أم مخطئين؟.

* الخصيبي: بل كل مصيب في طلبه الرؤية.

- المحاور: فلِمَ أخذت بني إسرائيل الصاعقة؟ ولِمَ أخذت السبعين الرجفة؟ ولِمَ خر موسى صعقاً ومُنِعَ أن يرى ولَمْ يمنع الجبل أن يتجلى له؟

* الخصيبي: لاشتراط بني إسرائيل وقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، ولو كانوا قالوا: بلى يا موسى ادع لنا ربك أن نراه جهرة لَمْ تأخذهم الصاعقة وإنما وجبت العقوبة لهم لقولهم: لن نؤمن لك، ألا ترى أنه أحياهم بعد الموت والسبعين بعد الرجفة وَقَبِلَ توبة موسى بعد أن خر صعقاً.

إذاً فالجواب باختصار من الخصيبي: أن طلب الرؤية صواب في حد ذاته، ولكن بني إسرائيل تعنتوا وأساؤوا الأدب في الطلب فأخذتهم الرجفة والصاعقة لهذا السبب.

ولو كنت حاضراً لتابعت الحوار مع الخصيبي وسألته:

١ - لماذا صعق موسى وهو لم يسئ الأدب؟ المفروض أن يتم إجابة طلبه، لأنه من جهة طلب حق كما ذكر، ولكي يعلم بني إسرائيل حسن الأدب مع الله، ويروا كيف أنه استجيب لموسى، فيقولوا ويفعلوا مثله..

ولماذا لم يوضح لهم موسى هذا السبب الذي ذكره الخصيبي؟ بل لماذا أكد القرآن في موضع آخر أن سبب صعقهم هو السؤال نفسه، وليس إساءة الأدب في السؤال أو الاشتراط على موسى. انظر ما تقوله الآية:

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٣.

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ فَقالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾(١).

٢- في القرآن آيات تذكر هذا النوع من الاشتراط وإساءة الأدب مع النبي الخاتم ﷺ من قِبَلِ المشركين، مثل قوله تعالى: ﴿وَقالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً..﴾(٢). وقوله: ﴿وَإِذا جاءَتْهُمْ آيَةٌ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتى مِثْلَ ما أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ..﴾(٣). بل أعلن بعضهم عدم نيته بالإيمان مطلقاً: ﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهذَا الْقُرْآنِ وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾(٤). فلماذا لم تأخذ الصاعقة أياً منهم؟!

بل لماذا لم تأخذ الصاعقة الحواريين عندما أساؤوا الأدب مع الله والنبي، وقالوا له: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ﴾(٥)؟!

٣- قال: إن موسى هو الذي اختار الرجال السبعين للميقات، واختياره اختيار الله، فلا يمكن أن يطلبوا ما ليس لهم به حق.

أقول: أليس الحواريون الذين شككوا في استطاعة الله إنزال مائدة من السماء اختيار السيد المسيح كما كان السبعون رجلاً اختيار موسى؟

إن الاختيار إذا كان على أساس الأفضلية فقد تم من أفضل الموجود، وليس من أفضل المطلوب؛ فالنبي مضطر أن يختار منهم على علاتهم، وليس من مهمته أن يعيد تشكيل قلوبهم وضمائرهم. هذا أمر. والأمر الآخر: أن الاختيار لا يكون شرطاً مبنياً على الأفضلية، فهناك معايير مختلفة يبنى عليها، منها: اختيار الزعامات. فقد يكون هؤلاء السبعون من زعماء ورؤساء

(١) سورة النساء الآية ١٥٣.
(٢) سورة الإسراء الآية ٩٠.
(٣) سورة الأنعام الآية ١٢٤.
(٤) سورة سبأ الآية ٣١.
(٥) سورة المائدة الآية ١١٢.

قومهم الذين لهم كلمة ويد عند أتباعهم. وقد يكون الاختيار على أساس التنوع العمري أو الفكري أو غير ذلك مما لا نعلم كيف بني عليه في اختيار موسى ﷺ، والمرجح أنه الأول.

الظهور بالناسوتية:

قالت الرستباشية على لسان الخصيبي: إن المعنى كان متجلياً لأهل خاصته، (في الأكوان الستة)، يراه كل شخص منهم بما استحق من رؤيته إلى أن ظهر لهم بالبشرية الناسوتية.

سأله المحاور المفترض: كيف ظهر بها وبم ظهر وبم احتجب؟.

أجابه: احتجب بخمس وظهر بخمس وأظهر خمساً.

قال السائل: بيّن لي هذه الثلاث خمسات..

أجاب:

* الخمس التي احتجب بها: الأب، والأم، والأزواج، والأولاد، والأخوة.

* والخمس التي ظهر بها: الناسوتية، والفقر، والمرض، والنوم، والموت.

* والخمس التي أظهرها: الأكل، والشرب، والغائط، والبول، والجنابة.

وقال الخصيبي في تعليل سبب ما ظهر من ذلك: (أظهرها إيناساً لخلقه ولطفاً بهم ورفقاً).

تحليل ومناقشة:

هذه المصطلحات الموجودة في الرستباشية على لسان الخصيبي (احتجب- ظهر بـ.. أظهر كذا..) متداخلة وينوب أحدها مكان الآخر؛

فإنهم يقولون: أظهر اتخاذ الزوجات..أظهر الولادة.. وقوله: ظهر بالمرض وظهر بالموت، يقال أيضاً: أظهر المرض وأظهر الموت.

والتقسيم موهوم؛ فإنه لو تم على أساس حاجات الجسم البشري، لكان النوم مع المجموعة الثالثة، وهي الأكل والشرب..الخ. ولكنه أراد في كل مجموعة خمساً لا أكثر، فتم إلحاق النوم بالمجموعة الثانية. كما ترك إظهارات أخرى لكي لا يختل التوازن العددي؛ فأين إظهار التعرق والتعب والجراح وإظهار العواطف من غضب ورحمة وحب وحزن.. وأين إظهار القتل -وهو مصطلح غير مصطلح الموت؟ أين الظهور بـ(الفرج والوفرة) كما قال محمد بن سنان؟

وهي بالمجمل ضبابية، ولا تفي بغرض واضعيها لصياغة فلسفة الظهور. فما معنى الاحتجاب بالأزواج؟ أو احتجابه بالإخوة؟

وما معنى أنه ظهر بتلك الخمسات إيناساً لخلقه؟

فهل سيستوحش الخلق منه إذا لم يكن له زوجة؟ لقد كان بعض الأنبياء بلا زوجة، ولم يستوحش منهم قومهم. وهل وجود إخوة له ضروري للإيناس؟ وحتى الأب. فقد عاش المسيح عليه السلام بلا أب ولم يكن هناك استيحاش.

والأطرف هو دعواهم أنه أظهر البول والغائط إيناساً لخلقه!!

هل يستسيغ ذو فطرة سليمة هذا التعليل؟ هل يكون البول والغائط مصدر إيناس؟ ولكن: خلا لك الجو فبيضي واصفري..

ثم، كيف يمكن ملاحظة هذا الإظهار العجيب لإخراج النجاسات؟ هل سيتيح لهم مراقبته والتحقق من إخراج بول وغائط لا يختلف عما يخرج منهم؟ أم سيتتبعون الأثر بعد انقضاء العمل؟ أم أن الأمر لا يعدو ملاحظة أنه يذهب إلى مكان ما لقضاء الحاجة؟ وعند ذلك هل سيتحقق عندهم هذا الإظهار المؤنس؟!

الملاحظة الخامسة:

القدرات التي أظهرها المعنى:

قالت الرستباشية: إن المعنى مع ظهوره بين خلقه بالناسوتية كانت تظهر منه القدرة.. وهم يرون أنه بشر مثلهم، يأتي بالقدرة التي يعجز الخلق أن يأتوا بشيء منها.

ومن تلك القدرة:

١ - رد الشمس.. وتكليمها له.. قال:

(وسلمت عليه الشمس وكلمته في بقيع الغرقد حيث ذهب بطلب من النبي ﷺ. وبعد أن سلم أمير المؤمنين أجابته: وعليك السلام يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن يا من هو بكل شيء عليم..وكان فلان وفلان حاضرين، فذهبا إلى رسول الله ﷺ وقالا له: يا رسول الله عليّ رب العزة وأنت تقول إنه بشر مثلنا فقال لهما رسول الله ﷺ: ما الذي سمعتما من نطق الشمس؟ فقالا: سمعنا الشمس تخاطب علياً بما وصف الله به نفسه وقد قال لها: السلام عليك يا أول خلق الله الجديد فقالت له: وعليك السلام يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن يا من هو بكل شيء عليم.

فقال لهما مسكتاً لهما ولأهل الظاهر: ويلكما هل علمتما ما قالت الشمس؟ قالت: يا أول وصدقت، أي أنه أول من آمن بالله ورسوله، ويا آخر أي أنه آخر الأوصياء لآخر النبيين لأني خاتمهم، وظاهر أي أنه ظهر على علمي، وباطن أي أنه بطن سري وخفيّ ما علّمني ربي..).

مناقشة:

لو سأل سائل: ما هدف إظهار مثل تلك المعجزة إن حدثت؟ أليس هو إقامة الدليل وإظهار الحجة بالإشارة إلى المعنى، ولو من باب التلميح إذا لم يكن بالتصريح؟ فلماذا يتم صرف الناس عامتهم عن الدليل بعد إقامته؟ لماذا

يتم محق البرهان وطمسه بعد ثبوته؟ لماذا التلاعب بالألفاظ والوقائع والمشاعر والعقائد من أجل لا شيء؟

أليس نقمتم على فلان وفلان لأنهم عصوا الرسول ﷺ وأنكروا وجحدوا؟ فما بالكم تصدونهم عن الإيمان بعد أن جاؤوا إلى النبي ﷺ مقرين بالمعجزة، ومستدلين الاستدلال الصحيح وهو أن ما خاطبت به الشمس علياً هو خطاب لرب العزة. أليس من المنتظر أن يتم في هذا الموقف توثيق ذلك الإقرار بما رأت العينان وسمعت الأذنان بتأكيد من النبي ﷺ على هذا، وبأن يقال لمن حضر: عرفت فالزم، وإلا ذقت حر الحديد وبرده!

العجيب أن ينسب إلى النبي ﷺ تعمية الأمر بعد ثبوته على أهل الظاهر جميعاً، وليس فقط على فلان وفلان، كما في صريح قول الرسالة: (مُسكِتاً لهما ولأهل الظاهر)!!

ثم، لماذا تجاهل النبي ﷺ - على حدِّ زعمهم حين شرح كلام الشمس - أن يفسر معنى قولها: (يا من أنت بكل شيء عليم)؟ كيف كان سيتم تخريج هذا لأهل الظاهر المساكين؟

وكيف لم يسأله هؤلاء عن تتمة شرح كلام الشمس، بل عن أهم ما فيه، وأكثره إثارة لـ(شبهة) تأليه الإمام التي ثارت عندهم، والتي (نجح) النبي ﷺ -كما يزعمون- في صرفهم عنها، أو صرفها عنهم!

هذه أدلة تزوير القول تشهد على نفسها.

٢- إحراقه عبد الله بن سبأ وأصحابه:

يمثل هذا الخبر الذي ساقه واضع الرسالة بالتفصيل نموذجاً للكذب غير المتقن على الله ورسوله ﷺ وعلى أمير المؤمنين عليه السلام. وهو حافل بالمتناقضات والمخالفات الأساسية لمبادئ الإسلام، والمغالطات التاريخية..

ذكر صاحب الرسالة ثلاث مراحل في حياة ابن سبأ فيما يتعلق بالموضوع:

- **المرحلة الأولى**: في عهد رسول الله ﷺ:

قال إن ابن سبأ وأصحابه أظهروا في زمن النبي ﷺ لاهوتية أمير المؤمنين بالطائف.. وتختصر مفاصل تلك المرحلة -كما نقلها- في النقاط الآتية:

(قبض عليهم أهل الطائف وجاؤوا بهم إلى النبي ﷺ)، فجرت الحوادث كما يلي:

١- وعظهم رسول الله ﷺ وخوفهم فأبوا.

٢- أَجَّلَهُمْ ثلاثاً وذَكَّرَهُمْ بأيام الله وخَوَّفَهُمْ عقابه. فإن تابوا قَبِلَ منهم، وإلا عذبهم بعذاب الله.

٣- الرسول ﷺ يأمر الإمام أن يأخذهم بعد انقضاء المهلة، ويؤجج النار، ويعرض عليهم التوبة، وإلا حرقهم بها.

٤- الإمام ينفذ بأمر النبي ﷺ، ويقوم بإحراقهم بعد إصرارهم على النداء بلاهوتيته.

٥- عبد الله بن سبأ وأصحابه يظهرون بالكوفة بعد ثلاثة أيام من إحراقهم.

مناقشة ما جاء في هذه المرحلة:

١- إن فعل رسول الله ﷺ وقوله كلاهما جزء من التشريع للمسلم. وهنا نرى أن النبي ﷺ -بحسب الرواية- يرى في فعل هؤلاء القوم جريمة كبيرة تستوجب ليس فقط القتل، وإنما نمطاً آخر لم نعهده حتى عند غير المؤمنين: إنه الإحراق بالنار حتى الموت!!

فهل يمكن أن يعتقد ابن سبأ وصحبه أن مخالفة رسول الله ﷺ من مستلزمات هذا الإيمان، وبعدها مخالفة من ادعوا فيه الألوهية؟

أمام جماعة الباطن ممن يتبنون هذه الأساطير احتمالان لا ثالث لهما كمخرج من هذا الإشكال وهم يكيلون المديح والثناء على الرجل:

الأول: أن يقولوا إن اتفاقاً ضمنياً سرياً قد تم بين صاحب الشرع وهؤلاء القوم الغلاة لإخراج هذه المسرحية التراجيدية!

الاحتمال الثاني: أن يقولوا: إن عبد الله بن سبأ وصحبه عوقبوا لأنهم صرحوا وأذاعوا السر، وإن كان كلامهم حقاً في ذاته!

أما الاحتمال الأول فإنه يُسقط صدقية رسول الله ﷺ وينزع الثقة من قوله بين المسلمين.

وأما الاحتمال الثاني فنسألهم عنده: هل في الشريعة عقوبة بالإحراق عند إذاعة السر؟ أين هي في القرآن أو الحديث؟ وإذا لم يكن ابن سبأ أهلاً للثقة بإيداعه هذا السر، فلماذا أودعوه إياه؟ ألم يأخذوا عليه المواثيق التي تأخذونها الآن على التلاميذ؟ وإذا كان ما وصل إليه هو وأصحابه مجرد استنتاجات أخذوها من بعض الآيات والأحاديث، أفلم يكن في إنكار النبي ﷺ والإمام رادع لهم عن هذا التورط في الغلو؟ وخاصة أن القرآن الكريم والنبي ﷺ والإمام علي عليه السلام قد نهوا عن الغلو في الدين كما مر معنا.

٢- من الغريب كذلك بعد هذه الحادثة العظيمة في إحراق أحد عشر رجلاً من (المسلمين) ألا ينقل لنا أحد من جميع من حضر -وهم كثر كما تقول الرواية- كلمة واحدة عن الحادثة! أين الصحابة جميعهم؟ نعم إن بعض نقلة التاريخ يروون أخباراً ولو أنها غير مثبتة عن إحراق أمير المؤمنين لابن سبأ وصحبه في خلافته هو، وليس في زمن النبي ﷺ.

نعم. إن بعض المصنفين من أهل السنة نقلوا تلك الرواية عن إحراق أمير المؤمنين لهؤلاء، ولكن ليس لِوَثاقة الرواية وثبوتها، بل لأنها تخدم غرضاً مذهبياً في تلك المرحلة من مراحل الصراع والتناحر المذهبي بين الأطراف كافة، حتى كان بعضهم يبحث بالسراج والفتيل عن أوهى الأخبار والأحاديث التي تطعن الطرف الآخر فيودعها في مصنفاته، ولم يكن بعض المنتفعين مادياً من ذلك الصراع يتورعون عن تأليف أحاديث في هذا الشأن حباً بثمراته العاجلة!

ولم نسمع كذلك أن النبي ﷺ خطب في الناس بعد إحراقهم يُحَذِّرهم من سلوك طريق هؤلاء الضالين، ولا أن الإمام فعل ذلك، وقد كان رسول الله ﷺ عقب الحوادث المهمة يتكلم ويبين للناس صراط الحق من سبل الباطل.

٣- أما (عودتهم إلى الحياة)، فلا شك أنها - وفق الرواية - معجزة تدل من يصدقها على ما يراد له من ذلك، وهو أن يرى في ابن سبأ ولياً من أولياء الله المجاهدين المجاهرين العظام، وأنه جعل من نفسه وأصحابه قرابين للصدع بألوهية علي!

وكيف توفقون بين هذا المدعى وبين قولكم إن النبي ﷺ والإمام كلاهما قد أذاع السر وصرح في وقت من الأوقات؟

٤- يقول الخبر في الرسالة (فلما كان بعد ثلاثة أيام ظهر عبد الله بن سبأ وأصحابه بالكوفة، ووردت أخبارهم من الكوفة إلى مكة، والكوفة يومئذ مغلقة بيد الفرس لم تفتح على عهد رسول الله ﷺ). أقول:

سنفترض أن الناس الذين في الكوفة علموا في نفس اليوم أن ابن سبأ وصحبه قد أحرقوا في مكة ثم ظهروا أحياء هناك -علماً أن هذا محال- إلا أن يقوم الجماعة أنفسهم بالإخبار عن هذا الأمر - ولنفترض أن الذين سمعوا

الخبر المعجزة وصدقوه بلا تردد ولا ريب، وأن أحدهم انطلق بحصانه في اليوم ذاته إلى مكة دون أية عراقيل، فهل سيصل في ثلاثة أيام كما نقل الخبر؟ هذا محال أيضاً؛ فأفضل وسيلة للنقل وأسرعها في ذلك الوقت هو الحصان أو الناقة، والراكب يحتاج خلال مسافة الطريق التي تزيد على ألف كيلومتر يحتاج إلى نوم وراحة هو ودابته، ولن يصل من الناحية العملية إلى عشرين يوم أو شهر.

المرحلة الثانية:

في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام. أهم النقاط في الحادثة:

١ الإمام يقبض على ابن سبأ وأصحابه بعد سنوات من الإحراق الأول، ويقوم بإحراقهم ثانية، ويكبر في صلاته عليهم خمساً وخمسين تكبيرة.

٢ - الإمام يقرأ عليهم سورة البروج، ويقول إنها أُنزلت فيهم خاصة

٣ الإمام يحيي ابن سبأ وأصحابه، كما عبر صاحب الرسالة، والإمام يقول إن الله هو الذي أحياهم.

مناقشة ما جاء في هذه المرحلة:

١ - لا نعلم لماذا بُعث ابن سبأ وصحبه أحياء في مدينة الكوفة عقب إحراقهم في المرة الأولى، والمدينة لم تكن بيد المسلمين؟ هل ليبقوا هنا بمأمن من بطش النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام؟ فإذا كانت حادثة إحراقهم الأولى قد تمت في السنة العاشرة للهجرة على سبيل الفرض، فيكون هؤلاء قد قضوا في الكوفة زهاء ربع قرن حتى تولى الإمام علي عليه السلام الخلافة فأحرقهما ويمكن تقسيم هذه الفترة إلى مرحلتين الأولى: منها حوالي ست سنوات تحت حكم الفرس قبل افتتاحها في زمن عمر بن الخطاب. وهذا يعني أيضاً أنهم عاشوا في الكوفة قرابة عشرين عاماً في خلافة كل من عمر وعثمان، فهل توقفوا عن الدعوة إلى مذهبهم في تأليه الإمام طوال تلك الفترة؟ وإذا كانوا قد نطقوا

بذلك، فما الذي منع المسلمين أن يأخذوهم إلى الخليفة، فيقيم عليهم الحد إحراقاً كما فعل رسول الله ﷺ؟!

٢- زعم واضع الخبر أن الإمام أحرقهم في (صحراء الأخدود) بالكوفة. ولا وجود لصحراء في الكوفة ولا في غيرها بهذا الاسم. وإنما الأخدود هو شق مستطيل في الأرض.

٣- زعم أن الإمام بعد أن قام بواجبه في إحراقهم الشرعي -عقوبة أو مكافأة أو تعمية على الخلق المنكوس أو....الخ- صلى عليهم خمساً وخمسين تكبيرة!

فأقول:

أولاً: من المعلوم فقهياً أن الصلاة على الميت تتم بعد الغسل والتكفين للمسلم، وقبل الدفن، ولا تجوز بعده، فكيف يقول في الرسالة: إن الإمام واراهم في حفرهم وصلى عليهم؟

ثانياً: هذا العدد من التكبيرات مخالف للمذهب أيضاً، ولسائر المذاهب الإسلامية؛ إذا كانت الصلاة واحدة على جماعة يكبر عليهم خمس تكبيرات جميعاً - مع تثنية العدد أو جمعه في الدعاء للميت في التكبيرة الخامسة وذلك حسب عدد الجنائز التي يُصلى عليها معاً - وفي حال الإفراد فيصلى على كل ميت على حدة خمس تكبيرات، حيث يقف المصلي في المكان المخصوص ويكبر ويقرأ ويدعو ما هو معروف..وقد كان لحمزة خصوصية في هذا، حيث خصه رسول الله ﷺ دون غيره بسبعين تكبيرة -كما في نهج البلاغة-تعظيماً لشهادته بطريقة لم يسبق لها على يد المشركين.

ثالثاً: أين هذا الفقه الإسلامي الذي يقول بإحراق إنسان لمخالفة شرعية أو ارتداد أو شرك، ثم الصلاة عليه من غير بيان عن كيفية التكفين - طبعاً هنا لا مجال للحديث عن الغسل بعد الإحراق- وما يقال في الصلاة عليه إن كانت

تجوز؟ ولماذا لم ينقل لنا أحد من المسلمين الذين حضروا أو سمعوا الإمام يكبر خمساً وخمسين تكبيرة عليهم، ماذا قال في التكبيرات الخاصة بالدعاء للميت؟

هل قال: اللهم إن هذا المسجى عبدك.. ولا نعلم منه إلا خيراً؟ لا يُصَدِّق ذو مسكة من عقل أن يصدر مثل هذا من الإمام، وإلا لصاح الناس من كل جهة: لماذا أحرقت الرجل إذاً؟! فهل قال: اللهم إن هذا عبدك وقد أسرف على نفسه وجعلني رباً من دونك؟ أم يقول: اللهم هذا عبدك الموحد لك، ولكنه خالف عن أمرك وجهر بسرك.. فاغفر له..؟

رابعاً: تقول رواية الرسالة كذلك إن الإمام قرأ عليهم بعد لحدهم سورة البروج: ﴿قُتِلَ أَصْحابُ الأُخْدُودِ * النَّارِ ذاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْها قُعُودٌ * وَهُمْ عَلى ما يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَما نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ..﴾[1].

يحار العقل هنا في تفسير هذا التلفيق على الإمام، وكيف يوضع في موضع الجهل بالقرآن ومعاني آياته ومرامي أحكامه ومناسبات نزوله!!

فهل حقاً يلزم كل هذا التجهيل للأتباع، والطعن بالمتبوع الأول: علي بن أبي طالب، ورميه بكل تلك النقائص، للإبقاء على المتبوع الآخر: الخصيبي؟!

فإن لم يكن هناك فقه في الدين، أفلا يكون هناك معرفة بلسان العرب الذي به ينطقون؟

أفلا يتدبرون القرآن؟

﴿قُتِلَ أَصْحابُ الأُخْدُودِ﴾. هذا دعاء عليهم، كما في قوله تعالى:

﴿قُتِلَ الإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ﴾[2]. وأصحاب الأخدود: هم الذين أحدثوا الأخدود (الشق في الأرض) لإلقاء المؤمنين به بعد إيقاد النار: ﴿النَّارِ ذاتِ

(١) سورة البروج الآيات ٤-٨.
(٢) سورة عبس الآية ١٧.

الْوَقُودِ﴾.. ﴿وَهُمْ عَلى ما يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾. هؤلاء المجرمون شاهدون على أنفسهم بما يفعلون من إحراق المؤمنين بلا ذنب ولا جريرة سوى أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد: ﴿وَما نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ...﴾. فأين الإمام علي من ذلك؟

خامساً: المسلمون الحاضرون كلهم لا يثير استغرابهم واستنكارهم هذا الاستشهاد بسورة البروج من قبل الإمام، ولم يسألوه: مَن أصحاب الأخدود؟ أنت أم هم؟ وهل نحن من جملة الشهود على ما يُفعل بالمؤمنين؟ ومن الذي نقم على هؤلاء فانتقم منهم غيرك؟ لم يسألوا عن شيء من هذا، بل كان السؤال سؤالاً (فقهياً): لماذا قرأت على الميت، ولا يقرأ على الميت؟!

أرأيت حبكة تمثيلية أوهى من هذه؟

لكن الأغرب من هذا هو جواب الإمام كما يدعون. لقد قال لهم: قرأت ليحق قول الله تعالى: ﴿وَما نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾. وما أنزلت هذه السورة إلاَّ فيهم خاصة! ثم سكت السائلون وسلموا بأن الإمام قرأ ليؤكد أن قاتلهم -هو نفسه إمام هؤلاء المسلمين- نقم على ضحاياه أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد!

سادساً: دعواهم أن الإمام أكد أن هذه السورة نزلت في ابن سبأ وأصحابه خاصة!

ومن المعلوم أن سورة البروج مكية نزلت قبل الهجرة، في وقت كان المشركون ينالون من المسلمين بشتى أنواع العذاب والتنكيل لردهم عن دينهم، فهذه السورة فيها استحضار لما فعله (ذو نواس) بالمؤمنين لردهم إلى دينه. ولو صح ما تَقَوَّلَتْهُ الرسالة لكان النبي ﷺ داخلاً في جملة الناقمين على هؤلاء المؤمنين، ولاقتضى كما ذكر مدح المقتول وذم القاتل. هذا فضلاً عن أن النبي ﷺ لم يكن في مكة يقيم الحدود على الناس من جلد وقتل،

وإنما تم ذلك بعد الهجرة إلى المدينة واستقرار المسلمين وانتشار الدين، وقـوة الشوكة للمؤمنين.

سابعاً: تقول الرسالة في روايتها: إن الجماعة عادوا أحياء بعـد الإحـراق الثاني! وإن المسلمين جاؤوا يسألونه عن السر في ذلك؟ فلماذا لم يسألوا: لمـاذا أحياهم الله بعد الإحراق الأول؟

الإمام يقول: أنا قتلتهم والله أحيـاهم. ومعنـاه عنـد أهـل البـاطن: أنـا قتلتهم وأنا أحييتهم. وهو(لا يسأل عما يفعل)!

ولا نعلم كذلك لماذا لم يظهروا أحياء في بلد آخر كما حدث بعد الإحراق الأول، أو لماذا لم يبقوا في المرة الأولى في مكة؟

- **المرحلة الثالثة:** في زمن بني أمية، في خلافة مروان بن الحكـم. وسـاق واضع الرسالة هنا أكثر من مغالطة، سأعرضها في السياق. جاء في الرسالة:

(ثم ظهر عبد الله بن سبأ في زمن بني أمية وقد تقلد الخلافـة مـروان بـن الحكم فكان منه ما كان من أمر معاوية بن يزيـد بـن معاويـة، فقلـد العـراق هشام بن الحكم فكان أول من وضع يده على أصحاب علي عليه السلام وأهله ومـن أظهر شـيئاً مـن أمـورهم، وذلـك أنـه كـف يزيـد بعـد مـا جـرى مـن أمـر الحسين عليه السلام خوفاً من اضطراب الأمر عليه لتنـاكر النـاس مـا جـرى فـأظهر الأسف وجعل يبدي الاستقامة ويعم أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأصـحاب علي بالعدل والعطاء وصارت منه إلى معاوية ابنه فأراد أن يجعلها في عـلي بـن الحسين عليه السلام فلما صارت إلى مروان بن الحكم ظهر عبد الله وأصحابه بالمـدائن وأظهروا الدعوة بها وقالوا مثلما قالوه في الطائف والكوفة، فأُخِذوا وأحرقوا وعبد الله يقول: لا والله أو يصح قول الله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كـادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً﴾[1].

---

(١) سورة الجن الآية ١٩.

وقول زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام - وقد أتوه بخبر عبد الله وأصحابه بالمدائن - إنهم أُحرقوا وذروا رماداً فقال: لو رأيت دماغ عبد الله وأدمغة أصحابه مصرورة في صرة لشهدت أنهم في الملكوت أحياء يرزقون وقبل ذلك أحرق عبد الله وأصحابه إحراقتين، وقال يوم المدائن: أُحْرِقْتُ أنا وأصحابي خمساً ولا بد من تمام السادسة وعلى الله تبليغنا السابعة في أمره ورضاه وبغيته).

أقول:

١- قوله: (ثم ظهر في زمن بني أمية) يعني أنه كان مختفياً بعد إحراقه كالعادة! فمن الذي أحرقهم قبل ذلك؟ وأين كانوا خلال تلك الفترة الممتدة من عصر الإمام إلى حين إحراقهم المجهول ثالثة؟ أين كانوا في زمن معاوية وزمن يزيد بعده وقد امتد عصرهما إلى أكثر من عشرين عاماً؟

٢- يقول إن مروان بن الحكم قلد العراق هشام بن الحكم..الخ.

والحقيقة أنه لم يوجد وال على العراق بهذا الاسم، ولعل التصحيف وقع في الاسم، فقد تولى العراق في تلك الفترة أخوه بشر بن الحكم.. وهنا يبدو الاضطراب واضحاً في سوق الحوادث، حيث يقول عن مروان: (فكان منه ما كان من أمر معاوية بن يزيد بن معاوية..)، ومعاوية هذا مات قبل تولي مروان. ثم قال: (وذلك أنه كف يزيد بعد ما جرى من أمر الحسين عليه السلام خوفاً من اضطراب الأمر عليه لتناكر الناس ما جرى فأظهر الأسف وجعل يبدي الاستقامة ويعم أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وأصحاب علي بالعدل والعطاء..). كلام غير مترابط، وغير منسجم مع وقائع التاريخ في الدفاع عن سلوك يزيد بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وأنه سار بالعدل..الخ فإن يزيد قد ارتكب بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام مجزرة المدينة الشهيرة بوقعة (الحرة) واستباح المدينة ثلاثة أيام بلياليها يغتصب النساء ويقتل الأطفال والرجال حتى قبلوا بمبايعة يزيد على أنهم عبيدٌ له فرفع عنهم السيف. فأي رحمة أو عدل بدر منه؟

٣- بعد هذا يقول خبر الرسالة إن عبد الله بن سبأ وجماعته ظهروا في المدائن، و(أظهروا الدعوة بها وقالوا مثلما قالوه في الطائف والكوفة، فأخِذوا وأحرقوا..).

من الذي أخذهم؟ ومن الذي أحرقهم هذه المرة؟ لم يتكلف واضع الرسالة توضيح شيء هنا، وأحاله إلى المجهول.

طبعاً لن يقوم بهذا الإحراق أحد من أهل البيت؛ لأنه لا سلطة لهم، وكانوا ملاحقين مهددين بالقتل أو السجن على أقل بادرة، فتخيل لو أن أحدهم تكلف إحراق جماعة، ألم تكن خير وسيلة لإسقاط حبهم من القلوب، وقتلهم بإرادة الناس؟

بقي الاحتمال الثاني، أن يكون مروان (الخليفة) هو من أمر بذلك، فأين وقائع التاريخ في هذا الشأن؟

٤- وقال الخبر: إن ابن سبأ كان يقول وهو مأخوذ للإحراق: (لا والله أو يصح قول الله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً﴾.

أقول:

عبد الله المذكور في الآية هو رسول الله ﷺ. فما القصد من قوله: لا والله، أو يصح قول الله..؟ هل معناه: لا أرجع عن قولي بتأليه علي حتى يكاد الإنس والجن يكونون لبداً على رسول الله ﷺ؟ لكن الآية أخبرت أنهم كادوا وانتهى الأمر. فهي آية إخبار عن أمر تحقق. وما العلاقة بين قوله بتأليه علي وبين تحقق معنى الآية؟

قال أخيراً في الخبر: (وقبل ذلك أُحرق عبد الله وأصحابه إحراقتين، وقال يوم المدائن: أُحْرِقْتُ أنا وأصحابي خمساً ولا بد من تمام السادسة وعلى الله تبليغنا السابعة في أمره ورضاه وبغيته). أقول:

هذا كلام مضطرب أيضاً؛ فصاحب الرسالة يقول إنهم أحرقوا مرتين قبل هذه، وابن سبأ يقول إنهم أحرقوا خمساً! فقول من نعتمد؟

ثم يؤكد ابن سبأ أنه: لا بد من تمام السادسة. فأين هي تلك الإحراقة التي لا بد منها؟

إنهم يتحدثون عن إحراق أحد عشر رجلاً في بلاد الإسلام خمس مرات على الأقل بحسب كلام صاحب الشأن، ومن أجل قضية لها خطورتها ووقعها عند العامة والخاصة: تأليه علي! فأين المؤرخون من تلك الإحراقات التي كانت تتم بِمَلأ من الناس؟ ليس هناك أي شاهد على الإطلاق يقول: أنا فلان بن فلان وقد شاهدت هؤلاء الرجال يُحرقون من قبل هذا الخليفة أو ذاك!

ثم ما هذا الولع كله من قبل الرجل بالإحراق حتى يقول: وعلى الله تبليغنا الثالثة! وكأنه يدعو بأن يوفق لحج بيت الله الحرام مرة بعد أخرى. أليس هذا لعباً بالعقول الصغيرة؟ وهل يدعو ولي الله أن يوفق ولي الله لإحراقه؟ فلماذا تشنعون على من كتب على قبر حجر بن عدي: (هذا قبر سيدنا حجر بن عدي الذي قتله سيدنا معاوية)؟ أو تعيبون حديث: (يضحك الله لرجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة)؟... الخ.

نتيجة في قصة ابن سبأ:

تخبط واضح في موقف مشايخ الوراثة من هذه القصة الأسطورية. والنموذج مما كتبه الشيخ حسين الأحمد، حيث عبر عن موقفين، أحدهما تبناه، والآخر نقله عن كتاب الحجب والأنوار.

الأول: سئل الشيخ حسين الأحمد في المسألة العاشرة من كتاب «قطر الأمياه» عن نار عبد الله بن سبأ فقال: (رمي فيها عبد الله بن سبأ عقوبة على الكشف والتصريح، وحثاً على التعريض والتلويح).

الثاني: في رسالة «غنيمة السفر» عن كتاب «الحجب والأنوار»: قول الأصبغ بن نباتة يسأل مالك بن التيهان عن عبد الله بن سبأ، فقال: (هو الذي كشف الحق وعرف الناس دين الله على جهته).

فقال الأصبغ: وما محله من الله؟

قال: (محله من الله محل الشعاع من القرص لا موصول ولا مفصول، وهو الغائب عن الأبصار وهو أيضاً غير مفقود).

فيا عجباً! كيف تكون هذه منزلته وهو يخالف رسول الله ﷺ ويخالف الإمام المرة بعد المرة في وجوب كتمان الأمر وعدم التصريح بالسر، فهل المنزلة إلا الطاعة؟

ومن عجب أيضاً أنهم يعيبون على عمر بن الخطاب جهره بالدعوة في وقت الكتمان، ويعيبون على أهل السنة أن يروا ذلك من فضائله وهو يخالف أمر النبي ﷺ، ثم يتبعون المنهج نفسه الذي يأبونه، والسنة نفسها في موضوع عبد الله بن سبأ!!فإذا كان إظهار الشيء في غير وقته، وبغير إذن، فلماذا لم يحرق رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب؟!

وفي الهداية الكبرى يؤكد الخصيبي أن النار كانت في الدنيا عذاباً لابن سبأ وأصحابه العشرة، وهي لهم آجلاً!: فعن المفضل قال: (يا مولاي، إن الغالي من ذكر أنكم أرباب عند الشيعة من دون الله. قال: ويحك يا مفضل. ما قال أحد فينا إلا عبد الله بن سبأ وأصحابه العشرة الذين حرقهم أمير المؤمنين بالنار بالكوفة، وموضع إحراقهم يعرف بصحراء الأخدود، وكذا عذبهم أمير المؤمنين بعذاب الله، وهو النار عاجلاً، وهي لهم آجلاً)[1].

الملاحظة السادسة:

- الاسم والمعنى:

قال صاحب الرسالة: (فإن قال قائل: ما الفرق بين الإسمين محمد وعلي؟ قلنا له: محمد اسم الله.. وهو كل نبي ورسول، كما أن المعنى هو كل وصي وإمام، وإنما سمي علياً للفرق بينه وبين محمد لأن كل شيء لا يعرف

---

(١) الهداية الكبرى ج٢- باب الإمام الثاني عشر ص ٦٩٧.

إلاَّ باسمه ونسبه فمن ذلك أنك لو قلت لإنسان: يا رجل وهو بين الرجال لم يجبك حتى تدعوه باسمه، فإذا دعوته باسمه أجابك وهذا الحد والإسم الذي يقع على كل شيء من السماوات والأرض.. ولولا ذلك الحد والإسم الذي يقع على كل شيء ما انفصل شيء عن شيء ولا عرف شيء من شيء. ولما قامت الصورتان المرئيتان علي ومحمد فلم يكن بد من إشراع اسمين لهما ليدعى كل واحد منهما باسمه).

لا أعتقد أن كثيراً من الناس يصلون إلى قناعة حقيقية بما قال، وإن حاول إيضاح الأمر بمثل أورده في النص، وهو أنك إذا ناديت: يا رجل –لفلان بين الرجال– لم يجبك حتى تدعوه باسمه.. كلام صحيح، فتعالوا نطبقه عملياً: إذا ناديت يا عدنان، فسيجيبني عدنان أو سيجيبني اسمه؟ وهل اسم عدنان ذات مستقلة؟ وإذا كان محمد اسماً للمعنى، فالمفروض أنني إذا ناديت: يا محمد، أن يجيبني علي، وليس محمداً. أليس هذا ما أراده من المثل؟ ولكن ماذا نفعل باسم علي هنا إذا كان سيجيب على ندائه باسم محمد؟ هل له اسمان إذاً: علي ومحمد؟

وفي المثل الذي أورده: يكون المعنى هو الرجل، واسمه عدنان مثلاً. وعدنان نفسه يمكن اعتباره معنى –بحسب ذلك التصور– ويكون له (اسم) يدل عليه.. أي اسم، قد يكون: الزعيم.. ولكنه بكل الأحوال سيكون هو نفسه المجيب وهو المقصود، وليس ذاتاً أخرى، كما في فلسفة الاسم والمعنى.

وفي الحقيقة أن الأسماء وضعت للدلالة على معانٍ لها لذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام في حديثه لهشام ابن الحكم: يا هشام الخبز اسم للمأكول، والماء اسم للمشروب، والثوب اسم للملبوس، والنار اسم للمحرق[1].

والأسماء مرة تكون لفظية مثل التي مرت معنا ومرة أخرى تكون مخلوقات موجودة على الأرض تدل على الله مثل الأنبياء والأوصياء وبقية

(١) أصول الكافي ج١ ص١٣٦ الحديث٢.

البشر، ولذلك نقرأ في دعاء الصباح للإمام علي عليه السلام وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وآله قوله: وصلِّ اللهم على الدليل إليك في الليل الأليل.

الملاحظة السابعة:

أدلة الرستباشية على (معنوية) علي من القرآن:

قال في الرسالة: (فإن قال قائل: ما الدليل من الكتاب على أن علياً هو المعنى المعبود بينه لنا من الكتاب.

في الجواب ساق الخصيبي الآيات التالية:

١- ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ.. إلى قوله: الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[1].

٢- ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[2].

٣- ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ للهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾[3].

٤- ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[4].

٥- ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ.. إلى قوله: إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً﴾[5].

٦- ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾[6]. فأجابه في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيّاً * وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً﴾[7]. - وهو المعنى -

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٥.

(٢) سورة الزخرف الآية ٤.

(٣) سورة غافر الآية ١٢.

(٤) سورة سبأ الآية ٢٣.

(٥) سورة النساء الآية ٣٤.

(٦) سورة الشعراء الآية ٨٤.

(٧) سورة مريم الآية ٥٠.

٧- ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾(١). أراد بالجحيم المهدي صاحب الغيبة وعين اليقين المعنى وهو العين الحمئة. وقوله: ﴿حَتَّى إِذا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَها تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾(٢). - يريد العين في علي والحمئة أراد الحامَّة لما ظهر أنه ابن عمه وصهره وأبو الحسن والحسين - والشاهد بذلك قوله: ﴿فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ * وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾(٣).

٨- ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللهِ يُفَجِّرُونَها تَفْجِيراً﴾(٤).

٩- ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً﴾(٥). - على العارفين أن يعرفوه، بحقيقة المعرفة.

١٠- ﴿هذا صِراطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾(٦). أراد أن الصراط هو الحق وهو العين لقول الله: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحاسِبِينَ﴾(٧). وآي مثل هذا كثير في كتاب الله.

مناقشة:

١- الآيات الست الأولى هي بمنزلة شاهد واحد؛ لأنها تتضمن اسم (العلي) من أسماء الله سبحانه، وهو لا يشتبه في المقصود منه إلا عند من يريد تلفيق عقيدة من خارج القرآن؛ لأن (العلي) مُعَرَّفَة بـ(أل)، أو قابلة للتعريف، أما اسم (علي بن أبي طالب) فمجرد من (ال) التعريف وغير قابل للتعريف بها. هذا وجه.

---

(١) سورة التكاثر الآيات ٣-٨.
(٢) سورة الكهف الآية ٨٦.
(٣) سورة الشعراء الآيات ١٠٠-١٠١.
(٤) سورة الإنسان الآية ٦.
(٥) سورة مريم الآية ٧١.
(٦) سورة الحجر الآية ٤١.
(٧) سورة الأنعام الآية ٦٢.

والوجه الآخر: أن سياق تلك الآيات يشهد بالمراد منها دون التباس، حيث الصفة (علي) أو (العلي) في نهاية الآية أو تصف متبوعاً سبق. وللإيضاح:

١- العلي العظيم في الآية الأولى صفتان لما ذكر سبحانه به نفسه في بدايتها من قوله: الله لا إله إلا هو..

٢- قوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾. صفتان للقرآن الكريم الذي ذكر قبل هذه الآية بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]، ومعنى صفة العلي للكتاب أنه رفيع الشأن في الكتب، لكونه معجزاً من بينها. ومعنى حَكِيمٌ: ذو حكمة بالغة، أي: منزلته عندنا منزلة كتاب هما صفتاه، وهو مثبت في أم الكتاب هكذا./ الكشاف

ومثله بقية الآيات..

٣- فسر قوله: ﴿لِسانَ صِدْقٍ عَلِيّاً﴾، بأنه المعنى. وهو استغلال للفظ لا أكثر، وإلا فإن المعنى لا يُجْعَلُ جعلاً، والجعل من صفات المخلوقين الذين يتحولون من حال إلى حال: ﴿وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[2]. وإذا فسر (لسان الصدق) برجل، فلماذا لا نقول إنه النبي ﷺ نفسه الذي شهد له المشركون في الجاهلية بالصدق، واشتهر لقبه ب(الصادق الأمين)؟

٤- في الفقرة السابعة فسر الجحيم بالمهدي، وعين اليقين بعلي المعنى. وذلك كله تكلف وتعسف لا برهان له.

أضاف: هو العين الحمئة في قوله: ﴿وَجَدَها تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾. وقال: إنه تعالى أراد بالحمئة: الحامة (أي قرابة الرجل)، لما ظهر أنه ابن عمه وصهره وأبو الحسن والحسين - والشاهد بذلك قوله: ﴿فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ * وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾.

---

(١) سورة يوسف الآية ٢.

(٢) سورة الأنبياء الآية ٣٠.

أقول: الحمأ في اللغة هو: الطين الأسود المنتن، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾(١). وهو معنى (عين حمئة) أي معتكرة من الطين الأسود(٢). أما (الحامة) فأصل مختلف، ومعناه: خاصة الرجل من أهله وولده(٣) والقرابة، فما أبعد ما يرمي صاحب الرسالة! ولو أراد سبحانه وتعالى الذي أخبر أنه: ﴿لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾(٤). أن يقول لك حامة لقال. ثم كيف يستقيم التفسير مع (حامة)؟ هل نقول: وجد الشمس تغرب في الخاصة أو القرابة؟ نعم في الباطن تستطيع أن تقول ما تشاء، فالجو خال، ولكننا نتحدث عن المعنى في إطار اللغة، وهو لا يتحمل ذلك، ولا يقرب منه.

٥- فسر صاحب الرسالة في ثلاث آيات كلمة (عين) بأنها علي المعنى، على طريقة الرموز والاختزالات أو الاختصارات، وكأن دين الله يصاب بهذا اللعب.

٦- فسر في الآية الأخيرة حرف الجر (على)، في قوله: ﴿صِراطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾، بأنه المعنى!

وحاشا للقرآن الكريم أن يتلاعب بنا وبلساننا إذا أحب غيره اللعب.

أخيراً يسأله السائل: فما الذي أراد بقوله: ﴿ذلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾؟ يجيبه: هو علي ومحمد، والذين من دونه هم الأول والثاني والثالث!

ورغم أن لفظ الآية لا يشير إلى هذا المعنى الذي تقحم به أودية التأويلات مع أتباعه؛ إلا أن هذا السائل يبدي انبهاره بالأجوبة في كل مرة، ويعبر عن عميق امتنانه لما أنعم الله به من علم أفاضه عليه! فتارة يقول له:

---

(١) سورة الحجر الآية ٢٨.
(٢) لسان العرب ج٢ مادة حمأ ص٤٩٠.
(٣) لسان العرب ج٢ ماد احتم ص٥١٠.
(٤) سورة الأحزاب الآية ٥٣.

هذا بيان واضح، وبرهان بيّن وشفاء للنفوس، وجلاء للعمى.

وتارة أخرى: لقد شرحت فأوضحت وأقمت الشواهد من كتاب الله وبينت.. الخ

فمن هو هذا السائل؟

الجواب:

هو افتراضي ولا وجود له، وقد انتزعه واضع الرسالة من مخيلته ليصوغ أفكار الرسالة، وليبدو الحديث أكثر إقناعاً. والدليل على ذلك ما يلي:

١- من يقرأ الرستباشية من بدايتها سيجد أنها ذكرت السائل أول مرة بصيغة شرطية افتراضية، فقالت:

(**فإن قال لنا قائل**: ما الدليل على المعنى وما كونه؟ قلنا له: هو الدليل عليه. فإن قال لنا: كيف هو الدليل عليه؟ قلنا له..

لاحظ أن القائل حتى الآن غير موجود إلا افتراضاً. ثم تتابع الرستباشية بعد كل فقرة قولها: (**فإن قال لنا**..):

- فإن قال لنا قائل: ما الدليل على ظهوره بصورة مرئية؟

- فإن قال لنا قائل: ما الدليل من الكتاب على أنه مرئي؟

وفي هذه الفقرة الأخيرة بالذات يتحول القائل الافتراضي فجأة إلى رجل مشخص يجلس مع الخصيبي ويسأله ويعبر عن رضاه بما سمع. وإليك جواب الخصيبي عن السؤال السابق لترى اللحظة التي أسقط فيها كلمة (فإن)، وصارت: (قال):

(...قلنا له... قوله: ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾. فهل كان قول بني إسرائيل هذا صواباً أم خطأ؟

قال: لا بل خطأ لأنهم سألوا موسى أن يروا الله جهرة وهو لا يرى فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون عقوبة لهم لطلبهم من موسى ما لا يكون. قلنا له: لمَ بعثهم من بعد موتهم؟. فقال: أماتهم عقوبة لهم، وأحياهم صفحاً عنهم. قلنا له.. الخ.)

فبدأ من هذه الفقرة سيصبح الرجل المتخيل حقيقياً، وسيظهر بعد غيبته في مطاوي المخيلة ليتعاون مع الخصيبي في صوغ رسالته.

وفي نهاية هذه الفقرة من الأجوبة يبدأ القائل المحاور بعد ذلك بكيل المدائح للخصيبي، وتأكيد وثوقه بعلمه. لنلاحظ من الآن كيف يكتسب شخصية مستقلة، والخصيبي ينقل كلامه (بأمانة):

(قال: هذه شواهد صحيحة لا تجحد من الكتاب). إلى أن يقول: (جلت النعمة وعظمت المنة)..وما شاكل ذلك.

٢- هذا القائل يبدو متطابقاً تماماً مع فكر الرسالة، ولا يعترض على أي تجاوزات لغوية أوشرعية أو تاريخية، ولا يسأل كيف تخلط بين أصل «بوب» و«بوأ» في تفسير: لم سمي الباب باباً؟! أو بين «يتم» و«اتم» في تفسير: لم سمي اليتيم يتيماً؟ وكيف ترجع أصل «قنبر» إلى «أقنى»؟ أو تقول إن «عثمان بن مظعون» سمي كذلك لأنه «أظعن» الشك؟! فوفق هذا التفسير يكون أبوه هو الذي أظعن الشك وليس هو، بل لا يستقيم ذلك مع أبيه أيضاً؛ لأن (مظعون)اسم مفعول وليس اسم فاعل! وكذلك قولك في تفسير لم سمي «عبد الله بن رواحة» أنه «رَوَّحَ» قلوب العارفين؛ فأبوه هو (المرَوِّح) وليس هو.

ولم يسأله كيف تمدح فلاناً باطناً مع أنه خالف مولاه وفعل وفعل..؟

٣- هذا السائل يعلم كل شيء من الباطن، ثم يسأل عنه. يعلم أن هناك أشخاصاً للصلاة ويريد أسماءهم، وأسماء المنبثين وأسماء التسعة الرهط المفسدين في الأرض وأشخاص المحمودين ظاهراً في حال المذمومين باطناً

وأشخاص المحمودين باطناً في حال المذمومين ظاهراً وأشخاص المختبرين والمستودعين والمستحفظين الذين قال الله فيهم: ﴿وَما مِنّا إِلاّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ * وَإِنّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾(١)..!

فمن أين أحضر كل تلك المعلومات الخاصة، وهو يعلم عناوينها، ولا يعلم تفاصيلها؟ فإذا كان يعرفها بطريقة شرعية فله شيخه، وإن كان بغير ذلك وجب الامتناع عن تلقينه. والغريب أن الخصيبي لا يسأله من عَلَّمَك هذا؟ ويكتفي بالإجابة. وهذا يدل قطعاً على عدم وجوده إلا في ذهن مؤلف الرسالة.

الملاحظة الثامنة:

أدلة الرستباشية على معنوية يوسف من القرآن:

جاء في الرسالة:

(وظهر المعنى بذاته يوسف إلى أن كان من قصته ما كان من قصة يعقوب والقميص والدم المكذوب والجب والسيارة وشرائه بالثمن البخس الدراهم المعدودة - والدراهم المعدودة كانت أشخاصاً لا فضة - والعزيز وامرأته والنسوة والقميص الذي قُدَّ من دبر والبرهان أشخاص وورود أخوته عليه وقد ظهر أن الملك له وخزائن الأرض وقول يعقوب لبنيه لما خاطبوه بأن يرسل معهم بنيامين أخا يوسف من يعقوب ورواحيل ليستوفي لهم الكيل فقال لهم: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاّ كَما أَمِنْتُكُمْ عَلى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللّهُ خَيْرٌ حافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ﴾، فأوجدهم أن الله هو الحافظ، وقال يوسف للعزيز: ﴿اجْعَلْنِي عَلى خَزائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾. وقال يعقوب لبنيه إذ ﴿قالُوا يا أَبانا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنّا كُنّا خاطِئِينَ * قالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. وقال يوسف لإخوته لما دخلوا عليه: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ﴾. فوعدهم يعقوب أن يستغفر لهم ربه وغفر لهم

---

(١) سورة الصافات الآيات ١٦٤-١٦٦.

يوسف لأنه صاحب الغفران. وفي قوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾. ولم يكن يعقوب ليسجد إلاَّ لربه لا لابنه، وقال يوسف لإخوته: ﴿ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾. وقال نوح وهو الرسول: ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾. فاعترف أنه سأل ربه، وقال يوسف: ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾. وأي شيء أبين من هاتين الآيتين لقوم يعقلون.. والقميص الذي بعث به وقال: ﴿أَلْقُوهُ عَلى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾. كان أمراً حتماً وقضاءً جزماً أنه يأتي بصيراً، ولم يقل اذهبوا بقميصي هذا حتى أدعوا الله أن يرد على أبي بصره ولا أحالهم على غيره لأنه صاحب الدعاء ومنه تطلب الحوائج، وقول يعقوب لأولاده لما جاؤوه بالقميص وألقاه البشير على وجهه فارتد بصيراً: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تَعْلَمُونَ﴾. وإظهاره الفقر إلى القميص ووضعه على وجهه فرجع إليه بصره، وتصريحه وكشفه وقوله: ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون. ويعقوب نبي الله ورسوله وأجلُّ خلقه عنده لم يكن ليفتقر إلى قميص ابنه ولا يحتاج في رد بصره إلى غير ربه. وأي شيء أبين من هذا الكشف لمن له علم وعرفٌ).

مناقشة:

لا شك أن صاحب الرسالة تبسط هنا ووجد عدة آيات رأى أنها تعزز مُدّعاه على معنوية يوسف، ولذلك عرض كل ما وجده في السورة من تلك الشبهات، مقارناً ومحللاً ومستنتجاً، ثم ليقول لأتباعه: أي شيء أبين من هذا لقوم يعقلون؟

طبعاً لم ينس أيضاً أن يقوم بواجبه في طمس كل الآيات التي تؤكد بشرية يوسف في السورة نفسها، حتى لا نقول نحن: أي شيء أبين من هذا لقوم يعقلون؟

وههنا عرض للآيات التي استدل بها، والتأمل فيما تعنيه في ضوء اللسان العربي الذي أخبر القرآن أنه نزل به:

أولاً:

- قوله تعالى على لسان يوسف: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾(١).

إن قول يوسف عن نفسه إنه ﴿حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، هي من الصفات التي تطلق على ذات الباري عز وجل، وعلى العباد أيضاً، والفرق بين هذا وذاك أن صفة العبد فيها محدودة موقوتة منسوبة إلى واهبها، أما صفة الله تعالى فهي فيها ذاتية مطلقة. من ذلك قوله تعالى: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾(٢). فالحفيظ صفة تشمل كل مؤمن تقي. ومثله قوله تعالى على لسان الملائكة عندما دخلوا على النبي إبراهيم: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾(٣). وقوله في سورة أخرى تأكيداً: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾(٤).

وقد سجل المكزون السنجاري في قصيدة له بهذا الشأن ستاً وثلاثين صفة للنبي محمد ﷺ، أكثرها من (المشتركات)، يقول في أولها:

لأحمد في الذكر وصف عظيم ... رسول نبي رؤوف رحيم

ثانياً:

دليله الثاني على معنوية يوسف أن يعقوب قال لبنيه إذ قالوا له: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾(٥)، فرد: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٦). وقال يوسف لإخوته لما دخلوا عليه: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ

---

(١) سورة يوسف الآية ٥٥.
(٢) سورة ق الآية ٣٢.
(٣) سورة الحجر الآية ٥٣.
(٤) سورة الذاريات الآية ٢٨.
(٥) سورة يوسف الآية ٩٧.
(٦) سورة يوسف الآية ٩٨.

﴿الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[1]. فوعدهم يعقوب أن يستغفر لهم ربه، وغفر لهم يوسف لأنه صاحب الغفران..)

أقول:

- قول يوسف لإخوته: ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾. نعم، لأنه يملك المغفرة، ولكن ليس لأنه (المعنى). وقول يعقوب: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾، ليس لأنه (الاسم) الذي لا يملك أن يقول: (يغفر الله لكم).

ولمن تدبر آيات القرآن، وتأمل في السياق في كل من الآيتين السابقتين سيجد السر في اختلاف التعبير بين (يغفر) و (سأستغفر):

والمبدأ وفي القرآن كله، وليس في سورة يوسف فقط، أنه حين يكون السياق هو الحديث عن الذنوب مما يتعلق بحق الله سبحانه، أو بحقوق الآخرين يكون التعبير بـ (استغفر).

وحين يكون الأمر متعلقاً بالعفو عن حق النفس مما ألحقه غيرها به يكون التعبير بـ (اغفر أو يغفر). ومن أمثلة ذلك:

١ - ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[2].

فلماذا لم يقل: هم يستغفرون؟ لأن الأمر متعلق بحق النفس مع الناس، أي بظلم العبد للعبد، والمظلوم هو الذي يعفو ويغفر، فإذا فعل ذلك، فإن الله يغفر له بمشيئته. ومن قرأ سياق خطاب أبناء يعقوب له يجد الحديث عن الذنوب: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا..﴾. ذنوب بالجمع، وهي تتضمن فيما تضمنته ذنوباً مع غير أبيهم، فلا يملك الأب النبي هنا أن يقول لهم: غفرت، أو: يغفر الله لكم. كما لا يملك أي إنسان أن يسامح بحقوق غيره.

---

(١) سورة يوسف الآية ٩٢.

(٢) سورة الشورى الآية ٣٧.

وفي خطابهم لأخيهم جاء السياق كما يلي: ﴿تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾[1]..

فلم يطلبوا منه استغفاراً، وإنما اعترفوا بفضله واستشعروا ظلمهم نحوه، فرد يوسف كان تنازلاً عن حقه، وما لحقه منهم هو فحسب، ولم يكن استغفاراً لذنوبهم عامة، وهو بالطبع لا يملك ذلك، ولو قالوا له كما قالوا لأبيهم: استغفر لنا ذنوبنا، لما كان له أن يقول غير ما قال أبوه من قبل: سوف أستغفر لكم.

٢- ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ﴾[2].

فهل يملك المؤمن أن يغفر لهؤلاء؟ وماذا سيغفر لهم وهم لا يرجون أيام الله؟! ولماذا لم يقل: (قل للذين آمنوا يستغفروا للذين لا يرجون أيام الله)؟ بالقطع ليس المغفرة من المؤمن هنا مما يتعلق بحق الله، وإنما مغفرة من حقهم وتجاوز عن ظلم لحق بهم.

٣- أما التعبير بالاستغفار فهو كما سبق مما يتعلق بحق الله تعالى أو بحق غير حق النفس. ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾[3].

- قوله تعالى: ﴿إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾[4]، ولم يقل: يغفر الله لك؛ لأنه حق الله تعالى، وليس حق إبراهيم.

---

(١) سورة يوسف الآية ٩١.

(٢) سورة الجاثية الآية ١٤.

(٣) سورة النساء الآية ٦٤.

(٤) سورة الممتحنة الآية ٤.

ثالثاً:

من أدلته على معنوية يوسف قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾(١). وقال: ولم يكن يعقوب ليسجد إلاّ لربه لا لابنه.

أقول:

نعم، يجوز السجود لغير الله إذا لم يكن سجود عبادة، وهو نوع من التحية عند بعض الشعوب، أو دليل طاعة للحاكم وغير ذلك، بل يكون السجود فرضاً واجباً إذا أمر به الله سبحانه لغيره، كما في أمره الملائكة بالسجود لآدم، فإن السجود له هنا هي العبادة لله سبحانه، وإبليس هو الذي أبى السجود علواً واستكباراً. وحين نهى سبحانه عن السجود للشمس والقمر فلأن هذا السجود كان عبادة لهما وبديلاً عن عبادته: ﴿لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾(٢).

رابعاً:

قالت الرستباشية: إن يوسف قال: ﴿ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾(٣). وقال نوح وهو الرسول: ﴿رَبِّ أَنزِلْنِي مُنْزَلاً مُبارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾(٤). فاعترف أنه سأل ربه، وقال يوسف: ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾. وأي شيء أبين من هاتين الآيتين لقوم يعقلون؟

أقول:

إن قول سيدنا يوسف: ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾، لا يعني ما ذهب إليه الغالون؛ فالخيرية على مستوى الأرض التي يحكمها وهي أرض مصر التي قال للملك عنها: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزائِنِ الأَرْضِ﴾. وهل يتوهم ذو مسكة

(١) سورة يوسف الآية ١٠٠.
(٢) سورة فصلت الآية ٣٧.
(٣) سورة يوسف الآية ٥٩.
(٤) سورة المؤمنون الآية ٢٩.

من عقل أن الملك كان يحكم (الكرة الأرضية) كلها حتى يقول يوسف: اجعلني على خزائنها؟ ويعلم دارسو العربية أن اللام في كلمة الأرض هنا هي لام العهد؛ أي تلك الأرض المعهودة التي يعرفها المخاطب ودون الحاجة لتفصيل. فهذا ما قرره يوسف، وقد قال قبل ذلك: ﴿أَلا تَرَوْنَ..﴾. فهذا مما يعلمه الناس في مصر لما اشتهر وذاع من عدالته ووفائه وحفظه وعلمه في تلك البلد.

ولا شك أن ليوسف من خلال تلك الآيات مقاماً عظيماً، وأن الله آثره ليس على إخوته فحسب -فهؤلاء سلكوا سبيل الإجرام، وأي فضل وافتخار أن تقول إنني أفضل من مجرم؟- ولكن آثره بالرتبة التي رفعه إليها، وبما لهج به يوسف من تلك النعم والآلاء. ولكن كل ذلك في إطار بشريته وجهاده ورياضة التقوى التي تحدث عنها الإمام علي ﷺ حيث يقول: (وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق).

خامساً:

مما أورده من أدلة (المعنوية) ليوسف قوله: (والقميص الذي بعث به وقال: ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1]. كان أمراً حتماً وقضاءً جزماً أنه يأتي بصيراً، ولم يقل اذهبوا بقميصي هذا حتى أدعو الله أن يرد على أبي بصره ولا أحالهم على غيره لأنه صاحب الدعاء ومنه تطلب الحوائج).

أقول:

هذه من معجزات الأنبياء ولا شك، كما هي معجزة العصا لموسى وغيرها كثير مما ورد في القرآن، ولكن كله في إطار: (إذن الله)، فقد أذن لعيسى بإحياء الميت، وإبراء الأكمه والأبرص، وأعطى سليمان وداود علم منطق الطير وغيره، وأخبروا جميعهم أن هذا من فضل الله تعالى.

---

(١) سورة يوسف الآية ٩٣.

عد للآيات الأسفة: الشعراء ١٥٥

أدلة بشرية يوسف من القرآن:

١ - ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ * قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾(١).الشاهد فيها أن الرؤيا منام، وهو شيء يمر في ذهن النائم، والله لا تأخذه سنة ولا نوم.

٢ - ﴿كَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾(٢).

الآية الشريفة تبين أن ليوسف عليه السلام رباً اجتباه ليعلمه ويتم نعمته عليه.

٣- ﴿وَأَخافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ﴾(٣).

لو كان يوسف (المعنى) لكان يعقوب أعلم بذلك منا، ولما خاف على ابنه من ذئب.

٤- ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحادِيثِ﴾(٤). التمكين والتعليم له، فهو مربوب لله تعالى.

٥- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْناهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾(٥).

الانتقال البشري في النمو من طور إلى طور، وتلقي عطايا الله.

٦- ﴿وَراوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِها عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوابَ وَقالَتْ هَيْتَ لَكَ قالَ مَعاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾(٦).

يعترف يوسف أن له رباً أحسن مثواه.

---

(١) سورة يوسف الآيات ٤-٥.

(٢) سورة يوسف الآية ٦.

(٣) سورة يوسف الآية ١٣.

(٤) سورة يوسف الآية ٢١.

(٥) سورة يوسف الآية ٢٢.

(٦) سورة يوسف الآية ٢٣.

٧- ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها لَوْ لا أَنْ رَأَى بُرْهانَ رَبِّهِ﴾(١). كالشاهد السابق. بالإضافة إلى توفر الاستعداد الذكوري للهم، لولا برهان الله.

٨- ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾(٢). كلام صريح في عبودية يوسف، وحاجته لتوفيق ربه بصرف السوء والفحشاء عنه.

٩- ﴿قالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجاهِلِينَ﴾(٣). يوسف هنا يصرح بأنه عرضة كغيره من الرجال لأن يصبو لأولئك النسوة، وهذا يشير إلى اكتمال رجولته، بل يصرح بوجود الأهلية الطبيعية عنده ليصبو إلى المرأة، والصبوة هي الميل، ولو لم يكن في يوسف هذا الاستعداد في أصل تكوينه الذكري لم يكن هناك فضيلة في مجاهدته نفسه في هذا الموقف واختياره السجن، وقوله منذ البداية: معاذ الله، ولا كان أسوة لكل رجل يريد أن يربح الآخرة بمجاهدة النفس وكسر نوازعها ولجم غرائزها.

١٠- ﴿فَاسْتَجابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾(٤).

١١- ﴿ذلِكُما مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾(٥).

١٢- ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائِي إِبْراهِيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ ما كانَ لَنا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ شَيْءٍ ذلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنا وَعَلَى النَّاسِ﴾(٦).

١٣- ﴿ما بالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾(٧).

---

(١) سورة يوسف الآية ٢٤.
(٢) سورة يوسف الآية ٢٤.
(٣) سورة يوسف الآية ٣٣.
(٤) سورة يوسف الآية ٣٤.
(٥) سورة يوسف الآية ٣٧.
(٦) سورة يوسف الآية ٣٨.
(٧) سورة يوسف الآية ٥٠.

١٤ - ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾(١).

١٥ - ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ... نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾(٢).

١٦ - ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهذا أَخِي قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٣).

١٧ - ﴿قَالَ يا أَبَتِ هذا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾(٤).

١٨ - ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحادِيثِ فاطِرَ السَّماواتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾(٥).

أليس هذا القول من يوسف مما يحدو بنا أن نقول: أي شيء أبين من هذا لقوم يعقلون؟ حيث أن الآيات الشريفة تؤكد على لسان يوسف عليه السلام أن له رباً خلقه واجتباه وعلمه... وبعد كل ذلك لا يزال يدعو ربه أن يتوفاه مسلماً وأن يلحقه بالصالحين!

١٩ - وقد صرحت آية أخرى بأن يوسف ((هلك)) في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّناتِ فَما زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً﴾(٦).

---

(١) سورة يوسف الآية ٥٦.
(٢) سورة يوسف الآية ٧٦.
(٣) سورة يوسف الآية ٩٠.
(٤) سورة يوسف الآية ١٠٠.
(٥) سورة يوسف الآية ١٠١.
(٦) سورة غافر الآية ٣٤.

هذا التعبير عن موت يوسف بـ (هلك) ملفت للنظر والتأمل، وبالتأكيد فهذا ما لا يحب أهل الباطن أن يقرؤوه - والهلاك هو موت مع انقطاع الأثر - وقد تجنب صاحب الرسالة وسواه عن ذكر هذه الآية.

الملاحظة التاسعة:

الباب يظهر أنواع الملاهي!

قال في الرسالة:

(أظهر يائيل بن فاتن – وهو الباب مع النبي إدريس - العود وعبد النور والأغاني والطنبور وأظهر الشطرنج والنرد فافتتن العالم بها، وتسامع به الناس جميعاً وجاؤوا إلى إدريس فقالوا: يا نبي الله إن صاحبك يائيل بن فاتن قد فتن العالم بهذه الملاهي التي أظهرها وسلب عقولهم وهذا عبد النور قد أفتنهم به أيضاً، فلو قال لهم يائيل: اعبدوني من دون إله إدريس لعبدوه. فقال لهم إدريس: ما أقل شكركم لنعم الله عليكم ألستم تعلمون أنه بابي وما خرج إليكم من عنده فمن عندي قد خرج إليه وما كان من عندي فهو من عند الله فلِمَ تصدون وتكفرون فالعارفون تمسكوا به. وظهر بحام بن يعرب فأظهر سائر الملاهي من المعازف والربابات والسراني والطبول والدفوف والبريط والأوز والصنوج والصفارات والشبابات والشيزى والدوملة والأرجوحات والدستبند والأربعة عشر والشعبذة والرقص وصب الماء في النيروز وإظهار الزينة فيه وفي المهرجان والتهادي وتخييل الخيالات والحكايات والحركات والنيرنجات).

أقول:

هل هذه هي مهمة (الباب) عندكم؟

هل جاء ليغرق الناس في ملاهي الدنيا التي هم غارقون فيها أصلاً؟!

أهذه هي الأسوة؟

ومـن أعجـب العجـب أن ينـسب إلى النبـي إدريـس قولـه رداً عـلى المعترضين: (ما أقل شكركم لنعم الله عليكم ألـستم تعلمـون أنـه بـابي ومـا خرج إليكم من عنده فمن عندي قد خرج إليه وما كان من عنـدي فهـو مـن عند الله فلِمَ تصدون وتكفرون..)!

إذاً فكل تلك الملاهي وحتى الرقص – ولا نعلم ما نوعه- قد خرج من عند إدريس، وليس اجتهاداً من الباب، ومن يتول ويعرض عـن ذلـك فهـو كافر بنعم الله!

ماذا يقول لنا اللاهون العابثون الذين يقتلون أعمارهـم وأعـمار غـيرهم باللهو الفـارغ بعـد هـذا؟ أنـستطيع أن نـتكلم ونعـترض؟ بـل مـاذا تقـول الراقصات؟ وماذا نقول لهن، وباب الله يُظهر الرقص؟!

هل سنكتشف مع هؤلاء أن كل ما جمعناه من ثقافة إسـلامية عـن قيمـة الحياة واستثمارها في طاعة الله وبنـاء الحيـاة وإصـلاح الأرض والـسير فيهـا للنظر والاعتبار.. كل ذلك كـان توهمـاً وتطرفـاً وتركـاً لحـلال الله وطيباتـه وكفراً بنعمه؟!

الملاحظة العاشرة:

في سياقة النطفة إلى الولادة:

قال في حديثه عن (النسخ):

إن المؤمن إذا ولد ولد في دعة ولين وسهولة وسـلامة مرفوقـاً بـه حتـى يخرج فإذا عاين الدنيا بكى على ما خرج منه مما كان فيه مـن الأنـس والأمـن فإذا استهلَّ وَصُنِعَ به صَنيعَ الولادة ذكر كل ما ذكره في بطن أمـه مـن أعمالـه وما اكتسب من يوم الأظلة إلى ذلك اليوم فيراه ويعرفه ويَذكُرُهُ ولا ينساه إلى تمام أربعة وعشرين شهراً عدة أشهر الرضاع فإذا فـصح نطقـه وقـوي عقلـه تناقص علمه بالأشياء وتناساها..

(أما الكافر في بطن أمه) فيكون غذاؤه من أنتن ما يكون في بطن أمه وشرابه من مبالها ويطرق بالأهوال والأمراض والآلام إلى أن يستحق الخروج منها في سبعة أشهر أو تسعة فإذا استهل ورأى الدنيا بكى وصرخ خوفاً على نفسه من أن يكون قد خرج من صعوبة إلى ما هو أشد منها وقد ناله من الصعوبة في الولادة والطلق والخوض في العذرة ما يود لو أنه صار نسياً منسياً ويرى سيئات عمله وما عمل ويذكره ويبكي عليه ومنه إلى تمام أربعة وعشرين شهراً وهي مدة أشهر الرضاع ثم ينسى ما فعل..

مناقشة:

قد يخدع جهال الناس أو صغارهم بهذه التلفيقات التي لا أساس لها، ولكن أليس هناك (تلاميذ) في هذا العصر من أبناء الطائفة قد درسوا الطب، وعلموا أن أحوال الأَجِنَّة متشابهة في بطون أمهاتها في كل مكان من العالم؟ وأن غذاءها واحد؟ ومسيرها إلى حين خروجها من الأرحام واحد؟

ماذا سيكون موقف هؤلاء -دارسي الطب- ممن يقول إن غذاء بعض الأَجِنَّة في الأرحام هو من بول الأم؟!

أو ممن يقول: إن الجنين يخوض في العذرة حين الولادة؟! فهل توهم حقاً أن الكافر يخرج من الشرج؟

لا شك أنهم سيقولون: هذا جاهل فَعَلِّموه، وإلا فهو..

أين ذلك السائل الذي رأيناه في بداية الرسالة؟ لماذا لا يعترض؟ أم ذاب في محاليل السحر المفصول عن الواقع ومُحقت شخصيته وأعيدت برمجة دماغه ليكون مُسَبِّحاً فحسب، شاكراً للمنعم المتفضل على عظيم إحسانه ونير برهانه!

ألا تند عمن نسخوا تلك الرسالة ووهبوا مهجهم لأضاليلها إشارة

ألا تبدي اليد حركة في قيدها، ألا يشع العقل الأسير بخطفة نور ولمحة بصيرة وبارقة تفكر؟!

من رأى من الناس مولوداً عليه أثر عذرة؟

وهل في بول الأم وعذرتها عناصر الحياة الضرورية حتى يخرج الولد- الكافر- بأتم صحة؟

وهل يخرج الكفار من بطون أمهاتهم مرضى كما قال، والمؤمنون أصحاء؟ لو كان ذلك كذلك فما أيسر الحكم والتمييز!

أما حديثه عما يعلمه المولود المؤمن والكافر على حد سواء من سابق العمل إلى مدة عامين، فينقضه قوله تعالى: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾[1].

فلماذا اختار مؤلف هذه الأساطير مدة العامين لكي ينسى بعدهما المولود كل شيء؟ لأنه لو قال إن المولود سيبقى ذاكراً أعماله إلى حين البلوغ، أو حتى إلى عمر خمس سنوات، لافتضحت الدعوى، لأن ذلك المولود لن يكون لديه ما يتحدث به إلا ما تلقنه من أبويه ومن محيطه.

أكتفي بهذا القدر من الملاحظات على الرسالة؛ لأن الاستقصاء يحتاج جهداً ووقتاً أكثر، وفيما ذكر كفاية توضح للقارئ منهج كل من المؤيد والمخالف.

ربنا اجعلنا ممن يعطفون الهوى على الهدى، ويعطفون الرأي على القرآن، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة النحل الآية ٧٨.